9 me Année No. 405

Lundi - 7 - 4 - 1941

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــــدد ٤٠٥ « القاهرة في يوم الاثنين ١٠ ربيع الأول سنة ١٣٦٠ — الموافق ٧ أبريل سنة ١٩٤١ » السنة التاسعة

الفهـــــــرس

عود إلى الفكر و « السلطة »

للأســـــتاذ عباس محمود العقاد

راجعني الأديب إلياس إبراهيم بدوي فيما كتبت بالرسالة منذ أسابيع عن « الفكر والسلطة » ، وكتب إليّ يقول :

« اسمح لي بأن أضيف إلى الأسباب الأربعة التي ذكرتها في إيضاح الدافع إلى طلب السلطة سبباً خامساً ، وإن لم يكن بسبب ، فهناك أناس يطلبون السلطة كحق من حقوقهم الموروثة أو تقليد من تقاليد الأسرة التي لا يليق بهم التخلي عنها . ولعل هذا السبب أبرز الأسباب نتائج من حيث طلب السلطة ، ليس في هذا البلد وحده ، بل في جميع البلدان بوجه عام »

وأتبع ما تقدم بقوله : « وكان لا بد أن ينشأ عن هذا السبب سبب سادس مما كس له : سبب يدفع بالرجل الموهوب ذي الشخصية العارمة والإرادة المدربة إلى النظر إلى مثل أولئك الأفراد المتهافتين على السلطة نظرة متعالية ، نظرة من يعتقد مخلصاً أنه أحق بها منهم إذا كانت الغاية من الحصول على السلطة استخدامها في بناء مجد للوطن . وإن مثل هذا الرجل ليعتبر في رأيي خائناً لرسالة ممتازة خلق لها إذا لم يعمل على نيل الأداة التي يمكنه بها إبراز مواهبه وممكناته وقدرته على الخلق والإبداع . وما قيمة النعمة الفكرية أو الذوقية إذا لم يستطع الرجل أن يستثمر قدرته البناءة بطليق طاقته وحيويته »

ثم يقول الأديب: « أما صاحبنا « ديزرائيلي » ، فلم أذكر اسمه نموذجاً ، بل ذكرته عرضاً كرجل كانت له نفسية الأديب ودقة إحساسه بالحياة ، وفق إلى كشف عناصر القوة في نفسه فسخرها في سبيل بلوغ المنصب الأعلى للحكم ... وربما كان في التاريخ الأمريكي والبريطاني والفرنسي كثير ممن يصح أن يتخذوا أمثالاً . وربما كان عندنا هنا من يصح أن يذكر في معرض التمثيل . غير أن عدم وجود أمثال لا يمنع من خلق أمثال وابتداع خطط جديدة في الحياة والعمل »

ثم يقول في ختام خطابه: « فإذا كنت تعتقد أنه لا يمكن الجمع بين الأدب والإدارة فهذا رأيك وأنت حر فيما ترى . ولئن كنت أشك في صحة هذا الاعتقاد فما يهزز شكي ما قرأته لك في رجعة أبي العلاء في معرض كلامك عما كان يساور أبا العلاء من طموح إلى السلطان لولا ظروفه الجسمية الخاصة التي حالت بين عقله الكبير وما أراد . وهو القائل:

ولم أعرض عن اللذات إلا لأن خيارها عني خنسنه »

***

ويلوح من خطاب الأديب أن صاحبه ممن يحبون الاستدراك لمحض الاستدراك ، وهو طبع في غير قليل من الناس

فنحن نقول إن أسباب طلب السلطة هي فطرة الرياسة ، أو حب الامتياز ، أو اتقاء شرور المسيطرين ، أو الرغبة في تسخير الأداة الحكومية للإصلاح ، فيأتي صاحب الخطاب بسبب خامس هو ميراث السلطة عن الآباء والحرص على بقائها في الأسرة ! كأنما هذا السبب لا ينتهي إلى واحد من الأسباب الأربعة التي قدمناها ! أو كأننا حين نقول إن الناس يرثون البيوت ننفي أن البيوت تبنى للسكنى ، أو كأننا حين نسلم أن الناس يصنعون الطعام ليبيعوه ننفي أن نهاية الطعام هي الغذاء سواء صنع في الأسواق أو صنع في الدور

فالناس لا يحبون أن يرثوا السلطة إلا لأنها تكفل لهم غرضاً من الأغراض التي قدمناها . وإلا فما بالهم لا يحرصون على وراثة المسكنة من آبائهم المساكين ؟ وما بالهم لا يحتفظون في الأسرة بالديون والمغارم والوصمات ؟

إنما يحرصون على بقاء السلطة في ميراثهم لأنها مطلب محبوب ، وإنما هي مطلب محبوب للأسباب التي قدمناها لا لأنها تركة موروثة عن الآباء

أما أن المفكر النابغ مفروض عليه طلب السلطان ، فهذا خلاف للواقع ، وخلاف للقياس المطرد في « تطور » الملكات .

ففي الواقع لم يوجد قط مفكر موهوب وعبقري مثمر في عالم الفنون تخلى عن الفكر والفن ليطمح إلى الحكم وإدارة الدواوين

وقبل أن يوجه إلينا الأديب خطابه الأول كنا نكتب « هتلر في الميزان » فقلنا من فصل عن كفاءته الذهنية :

« إن الحقيقة الراسخة من وراء كل جدل وكل مراء هي أن الفنان الموهوب لن يترك فنه ليعقد مصيره بالسياسة وغيرها من المطالب كائناً ما كان نصيبه منها ، لأن الهبة الفنية كالوظيفة العضوية التي لا تقبل الإهمال ، ولا تزال في إلحاحها على صاحبها كالهيام القلبي في إلحاحه على العاشق المتلى بالحياة ، فلا هو يغفل عنها ولا هي تمهله إلى زمن طويل

« وهذه الحقيقة وحدها بنجوة عن جميع الأقاويل وجميع الأسانيد . هي الحكم الحاسم في كفاءة هتلر الفنية ، أو فيما يدعيه من مواهب التصوير والبناء . فهي لن تعدو الطبقة الوسطى بحال ، ولن تتجاوز نصاب التذوق الشائع بين مصطنعي النقد والموازنة في الفنون »

فهذا رأي قديم لنا نبنيه على الواقع كما نبنيه على المعقول ، لأن التاريخ لم يذكر لنا قط اسماً واحداً من أسماء المباقرة الفنيين طلق الفن ليحكم الناس ويطلب السلطة . وليس بمعقول أن تمتعه السلطة كما يمتعه الخلق في عالمه الفني الذي يصرفه تكوينه إليه .

وهذا الرأي مطابق لسنة التطور التي تنتقل من الجمع إلى التوزيع ، من حصر الملكات إلى انتشارها في عقول كثيرة .

فاتفق في زمن من أزمان الهمجية أن حاكم القبيلة كان حكيمها وساحرها وكاهنها وطبيبها وحافظ تاريخها . فهو فيها جامع لوظيفة السياسة ووظيفة الدين ووظيفة العلم ووظيفة الفن والثقافة ، ثم انقضى هذا العهد وتوزعت الملكات وأصبحت كل وظيفة من هذه الوظائف شعباً لا تحصى ومقدرة يستعصي الجمع بينها وبين غيرها ، ولا يؤدي هذا الجمع إلى مصلحة للنابغ ولا للمنتفعين بنبوغه

وبعد هذه الدهور المتطاولة يأتي من يزعم أن إعراض المفكرين وعباقرة الفن عن طلب الحكم خيانة لأمانة النبوغ إذا كانوا يستخدمون السلطة في بناء مجد الوطن ... ويسأل :

ما قيمة المتعة الفكرية أو الذوقية إذا لم يستطع الرجل أن يستثمر قدرته البناءة بمطلق طاقته وحيويته ؟

فما قيمة الحياة نفسها بغير متعة فكرية أو ذوقية ؟ وما قيمة مجد الوطن إذا خلا من المفكرين والعباقرة الذين يعيشون ويموتون للفكر ، ويعيشون ويموتون لمتاع الأذهان والأذواق ؟ أكل مجد الوطن إذن في رفع الأيدي بالسلام ، ودق الأرض بالأقدام ، وخطوة إلى الوراء وخطوة إلى الأمام ، وتفرّجٌ على السلطة ومواكب السلطة أيام الزحام ؟

أهذا هو مجد الوطن الذي يخونه أمناء الفكر والذوق لأنهم لا يتطلعون إلى السلطة ولا يتحولون جميعاً إليها كلما وفر عندهم نصيب الفكر والذوق ؟

إن كان الأديب يخال أن المفكر الصادق التفكير لن يشعر بالامتياز إلا وهو متسلط في الحكومة ، ولن يقعد عن طلب التسلط في الحكومة إلا لأنه عاجز عنه ، فهو بعيد كل البعد عن دخائل العظمة الفكرية التي هي عظمة لا شك فيها وإن لم يكن لها في الحكم سلطان

لكنّ العجب في هذا أن الزهو بالعقول شائع بين جمهرة الناس ، فكيف يفوت الأديب صاحب الخطاب أن يفطن إلى زهو العقول العالية التي تشعر بما لها من الرجحان ؟

يقولون في أمثالنا الدارجة إن الخلق غضبوا عند قسمة الأرزاق فأرضاهم القدر بقسمة العقول ، فما منهم إلا راض عن عقله وإن سخف وإن ضاق

وتعليل ذلك قريب ، فإن الأرزاق تنتقل من مالك إلى مالك ، فللطمع فيها معنى مفهوم ؛ أما العقول فلا تنتقل من أصحابها إلى غير أصحابها ، فليس للطمع فيها معنى غير الإقرار بالقصور ، والحرمان من لذة الغرور

ومغزى المثل كما يقولون أن رضى الإنسان بعقله سهل مألوف في جميع الطبائع البشرية ، فكيف بالعقل الذي يعلم ما عنده وما عند غيره علماً ليس بالدعوى ولا بالغرور ؟ أليس خليقاً بامتيازه المرضيّ عنه أن يغنيه عن طلب الامتياز من طريق ولاية الأحكام ؟

قلنا في كتابنا رجعة أبي العلاء : « إن أبا العلاء كان لا يرضى من الدنيا إلا بالسيادة عليها أو بالإعراض عنها . فإما الملك وإما الرهبانية ولا توسط عنده بين الأمرين . فلا يحسبن أحد أن فكرة الملك عارضة في ذهنه كما يعرض الخاطر في خلد الشاعر ، فإن للمجد الدنيوي لنزعة مكبوتة في قرارة ضميره يدل عليها شعره ونثره ، ولا تزال غالبة عليه في جمحات الأهواء وفلتات اللسان . فسرعان ما يثب إليها كلما عرضت لها لمحة ظهور »

وقد ظن الأديب صاحب الخطاب أن ما قررناه هناك شذوذ مما نقرره في كلامنا عن الفكر والسلطة ، وما به في الحقيقة من شذوذ ؛ فالحنين إلى السيطرة في نفس أبي العلاء إنما هو تعبير عن جانب الحرمان من تلك النفس وليس بالتعبير عن جانب الامتياز والرجحان

وليس الوجه كما فهم الأديب أن أبا العلاء كان يزداد طلباً للسلطان لو أبصر وملك القوة الجسدية ، ولكنّ الوجه أنه كان يقلع عن هذا الطلب لو زال عنه شعور الحرمان الذي داخله من كبريائه مع فقد بصره ووهن جسده . فيغلب عليه جانب الثقة والامتياز

وأي عجب في تداخل النزعات واشتباكها في جميع النفوس الآدمية ؟ ألا يوجد بين ذوي السلطان من يحب أن يشتهر بالكتابة فينتحل ما يكتبه له الكاتبون وليس هو بأديب ؟ أفمن أجل ذلك نقول إن الملكة الأدبية لاصقة بكل حاكم وكل أمير وكل طامع في الشهرة بالمنثور والمنظوم ؟

ومن الخطأ أن نزعم أن أبا العلاء قد عكف على التفكير لأنه لم يظفر بالملك والإمارة ؛ فإن التفكير ليس بالمنحة « الاحتياطية » التي تجود بها الطبيعة على من فاتته المنح الأخرى ، ولكنها منحة أصيلة من رزقها فكر ومن لم يرزقها لم يفكر وإن أراد . وغاية ما هنالك أن المفكر المتكبر المحروم يمثّل حرمانه في آماله ودخائل وجدانه شوقاً إلى الغلبة والبأس والولاية ، وهو شوق لا يعد من الملكات ولا من النزعات التي يقاس عليها في غير هذه الحال

وجملة الرأي أن حاجة الحاكم إلى الفكر كحاجة كل عامل إليه ، فلا يلزم من ذلك أن يشتغل المفكرون بجميع الأعمال لأن جميع الأعمال محتاج إلى تفكير

على أن الحكم إلزام والفكر إقناع ، وإذا بلغ الإقناع مداه ألزم الحاكمين أن يستمعوا له فكان سلطة فوق السلطة في هذا المقام

عباس محمود العقاد

في المصادر والأصول

نساؤنا بين التقاليد والتجديد

لصاحب العزة الدكتور منصور فهمي بك

مدير عام دار الكتب المصرية

مقدمة

من الدقة أن يرى بحثنا إلى تناول أحوال المرأة المصرية المعاصرة ، لأن فينا من مد له في العمر فتيسر له أن يصف مسالك نسائنا في فترة محصورة من الزمن ، لعلها البرزخ الفاصل بين ما كانت تجري عليه أحوال النساء عند السلف القديم ، وبين ما أصبحن عليه الآن ، وما قد يصرن إليه في مستقبل الأيام .

وإني ، مع حرصي الشديد على تضييق مجال البحث وحصره ، قد أتعرض للماضي أحياناً في نظرة خاطفة ، لأجلّي فيه بعض المعالم التي ترسمتها المرأة المصرية في مسيرها لكي تتبين : ألا يزال الدرب الذي تعدو الآن فيه موصولاً بالطريق الذي سلكته عدة قرون ؛ أم أصبح مسيرها مقطوع الصلة بماضيها القريب والبعيد ؟ ولعل المرأة حين اتخذت أسلوبها الجديد ، أخذت تتعرض لمنحدر كثير الزلل والخطر . وإني حين أعنى بالبحث في أحوال نسائنا ، إنما أعنى بحملة الرسالة الكبرى في تشييد أركان الهناء في الحياة ، بل بحملة سر الرحمن وكلمته في بذل المحبة والرحمة والسلام .

وإني إذ أثير اليوم موضوع المرأة المصرية بين التقاليد والتجديد ، إنما أثير موضوعاً حيوياً للزوجات والبنات والأمهات . وعلى الجملة موضوعاً يتصل بكيان الأسرة وكيان الأمة التي تنتمي إليها ، ونرجو أن تحيا بنا عزيزة ونحيا بها كراماً .

لمحة تاريخية

فمن نيف وثلاثين عاماً كان « قاسم أمين » يحلق بخياله في متسع تاريخ مصر الاجتماعي ، ويلقي بنظراته الناقدة في صحائف حياتها العمرانية ، وكان يصيب نفسه وخز من الألم منشأه المظاهر الاجتماعية السيئة التي اتصلت بحياة الأسرة ، دون أن يقرها العقل السليم ، أو يرضاها الشرع الحكيم . ولقد حركت وخزات الألم لسانه وقلمه بما كان ينشده لأمته من ظهور امرأة جديدة تكون على حد قوله : « شقيقة الرجل ، شريكة الزوج ، مهذبة النوع ، مربية الأولاد (١) »

ولعل الصورة المثلى التي كان يتخيلها « قاسم أمين » ويريدها للمرأة المصرية تجمل للنساء كما كان يكتب ويقول :

— رأياً في الأعمال . فكراً في المشارب ، ذوقاً في الفنون ، قدماً في المنافع ، مقاماً في الاعتقادات الدينية ، فضيلة وشعوراً في الوطنية (٢)

وكان يعتقد أن المرأة قد تسمو إلى ما ينشده لها من المكانة لو كلت تربية النساء على مقتضى الدين ، وقواعد الأدب ، ووقف بالحجاب عند الحد المعروف في أغلب المذاهب الإسلامية (٣)

ومن حق المتأمل أن يجد فيما كان ينشده ذلك المصلح الكبير صورة للمرأة العاملة الجادة الشريفة الكريمة ، وليست صورة المستهترة العابثة في مهازل العيش وترّهات المجتمع ، وأن الاختلاط الذي كان يدعو إليه بين المرأة والرجل إنما هو ذلك الاختلاط البريء من مثيرات المفاسد ، وتدعو إليه مقتضيات الحياة النزيهة المثمرة ، وأن ما كان ينادي به قاسم من الحرية إنما هي الحرية التي تعين على الخير ، وليست تلك التي تركب للشرور والآثام . على أن قاسماً كان شأنه في دعوته لمثله الأعلى شأن كل مصلح تملك فؤاده ولبه المثل الذي كان يدعو إليه ، فكان اهتمامه لتحقيق دعوته أشغل لفكره ، وأصرف لنفسه عن الاشتغال بالبحث في مختلف الوسائل التي تقي أغراضه الصالحة من الانحراف

لقاء الدعوة

وجد قاسم أمين حين دعا دعوته للمرأة المصرية من أيدوه ومن عارضوه ، ومن حذروه سوء العقبى إذا لم تتخذ الحكمة وأسباب الاحتياط

فأما الذين أيدوه فكانوا ممن يعتقدون أن نهضات الأمم وعظمتها تفتقر إلى مسعى الرجال ومسعى النساء ، ورقي الرجال ورقي النساء ، ويكون ذلك بإشاعة التربية والتعليم ونشر الحرية بين أفراد الأمة جميعاً

وأما من عارضوه فكانوا ممن يعز عليهم أن يتغير ما ألفوه في حياتهم من عادات راسخة ضيعت على المرأة الكثير من حقوقها في الحرية والتعليم ، وكانوا من المستضعفين لضغط التقاليد التي أثقلت كواهلهم وكواهل عدة أجيال من آبائهم وأسلافهم

(١) من كتاب المرأة الجديدة (٢) عن تحرير المرأة (٣) عن تحرير المرأة

وأما من حذروه ، فكانوا يعتقدون أن المرأة صفات نوعية تتميز بها عن الرجل ، وأن مسالكها وتقدمها ينبغى أن يساير ما انتزع عن فطرتها من الصفات ، وألا يتعدى دائرة ما اختصتها به الأقدار ، وألا يخرج عن الميدان الذى يتحقق فيه فوزها فى كفاحها الحيوى ، ويتجلى فيه إنتاجها فى الوجود ؛ وهؤلاء يقررون على نحو ما يقول الأستاذ فريد وجدى :

« أنهم ليسوا بدعاة إلى ظلمة القرون الأولى ، ولا بمروجى خطة أسر المرأة ، بل طلاب كمال يناسب كرامة الإنسانية ، ورواد مدنيـة حقة يقوم عليها الإنسان غير خائن لأمانته ، ولا غاش لنفسه » (١)

على أن دعوة قاسم كان لهـا الفوز على دعوة معارضيه ، ولم يكن تحذير المحذرين من بعض ما لا يرضون من نتائج هذه الدعوة بعوق لها عن الانتشار المتواصل السريع ، وذلك لأن حركة النهوض المصرى كانت تشتعل فى شتى ظواهر الحياة الاجتماعية من نيف وخمسين سنة . وكان لا بد لها أن تمتد إلى الأسرة وتتصل إلى المرأة التى هى دعامة البيت وركنه الركين

وعلى ذلك سارت دعوة قاسم مجرى الحياة الاجتماعية المندفعة للرقى ، وفسح للمرأة طريق معبد فى النهضة العامة ، وفتحت لها أبواب التعليم ، ونظمت القوانين لصالحة النساء ؛ وعلى الجملة سارت النهضة النسائية فى بداية أمرها مؤيدة بالحق يشجعها كل ميال لرؤية المجتمع المصرى يسير من السيئ إلى الحسن ، ومن الحسن إلى الأحسن

الانحراف

لكن بينما كانت تسير نهضتنا النسائية فى مجراها الصافى إذ شابها ما يعكر شيئاً من صفائها برغم أنها صدرت عن نبعها الأول ، ومن دعوة قاسم ، نقية طاهرة ، فتحول خروج النساء من عزلتهن عن أن يكون وسيلة يسوغها شرف الغاية ليكون غاية لذاته ، أو وسيلة لغاية وضيعة . ولعل من أشد العوامل التى أضعفت قيمة الاختلاط بين المرأة والرجل وسوأت خروجها عن معزلها الذى ظلت فيـه طويلاً هو انتشار بعض الآراء دون أن تفهم على وجهها الصحيح ، ودون أن تنضج فى فهم من تخطفوها وتلقفوها ؛ ومن هذه الآراء ذهابهم إلى أن الاختلاط بين النساء والرجال وتوالى المجامع التى يتلاقون فيها من شأنه أن يهذب من المظاهر ، ويعمل على ترفيع النظرات ، وترقيق الآداب . وحقاً أن تلاقى النساء بالرجال فى الحدود التى تقتضيها حيـاة التعاون والعمران من شأنه أن يجر إلى عالم النسيان كل الاعتبارات الجنسية

فالفلاحون الذين يتلاقون فى الحقول مع الفلاحات لاستغلال خيرات الأرض ، إنما يجتمعون اجتماعاً طبيعياً لمقتضيات نافعة قاهرة فيتلاقون بدافع هذه المقتضيات ويفترقون عند انعدامها . والمتبادلون من الناس فى المتاجر ، إنما يتلاقون لحاجة وينصرفون عند انقضائها ، والمتلاقون فى المعابد قد يجتمعون رجالاً ونساء لأداء حق من حقوق دياناتهم

وعلى الجملة ، فإن فى دواعى الاختلاط الطبيعى الذى يتحقق لدوافعه الداعية ما يعين على ترويض النزعات الجنسية للاستقرار فى مكامنها ، والوقوف عند حدودها التى تحول دون كل مكروه

التوسع فى الاختلاط واضرار ذلك

لكن الناس قد توسعوا فى هذا الترخص واستباحوا لأنفسهم أن يجوزوا مجتمعات الجد الطبيعية إلى مجتمعات هازلة مصنوعة من شأنها أن تؤدى إلى تحريك الانفعالات التافهة والشهوات الوضيعة والمواقف المرذولة أكثر مما تؤدى إلى ما تزكو به العقول، أو تترفع به النفوس ، أو تتحقق به فائدة من فوائد الحياة

فقد يزدحم النساء والرجال فى مجتمع من مجتمعات الشاى أو الخمر (الكوكتيل) فلا يلبث هذا المجتمع أن يتحول إلى معارض للتزيين والأناقة ، وإلى مضمار للتأنق بالأقوال الرخيصة ، وبذل التظرف المصنوع ، واتخاذ الابتسامات المنافقة . وإذا كان لبعض النساء من وسائل الزينة ما ينحدر فى المرتبة عن زينة الأخريات ، فسرعان ما تنبض القلوب بالغيرة والحسد ، أو تدق دقات الزهو الأجوف . وإذا كان فى هذه المجتمعات من يعوزه يقظة الفضيلة ، وصلابة الخلق ، فثم النظرات المسمومة ، وثم الأحاديث المهيئة لنزعات السوء ونزغات الشيطان ، ومن ثم فضائح الغواية ، ومآسى الغيرة ، وما قد يجره ذلك من الكوارث فى هدم سعادة الأسر

وإذا ذكرنا مجامع الشاى وحفلات الخمور ، فلنضف إليها ما هو أسوأ منها أثراً من منتديات الميسر ، والمراقص ، والرحلات المشتركة ، ومسارح التمثيل الخليع ، وحمامات السباحة الجامعة . وعلى الجملة ضروب المجتمعات التى تخلط بين النساء والرجال ، وإثمها أكبر من نفعها لو أن لها نفعاً مذكوراً عند من يحسنونها وينزلقون إليها

(١) من المرأة المسلمة

وإذا صح أن بعض ما ذكرت من هذه المجتمعات يخلو مما أشرت إليه من المساوئ ويؤدى إلى فوائده المزعومة من جر الاعتبارات الجنسية إلى عالم النسيان ، فإنها تضعف من المرأة عاطفة الحياء ، وتوهن فى الرجل عاطفة الغيرة . وفى إضعاف عاطفة الحياء خسارة كبرى على المرأة ، فإن الحياء زينة لها ؛ وفى إيهان غيرة الرجل خسارة كبرى على الرجولة وحماية الأسرة

ولعل قاسم أمين كان يخشى أن يتجاوز الناس حدود المعقول فيما دعا إليه من الاختلاط حين دعا إليه بعد أن تجاوزوا حدود المعقول فى العزلة فقال :

« والذى أراه فى هـذا الموضوع هو أن الغربيين قد غلوا فى إباحة التكشف للنساء إلى درجة يصعب معها أن تتصون المرأة من التعرض لثارات الشهوة ، ولا ترضاه عاطفة الحياء(1) »

وهكذا ظلت حركة اختلاط المرأة بالرجل تنمو سريعاً وتشيع إلى أن أصبحت الفتاة التى كانت أمها من نيف وثلاثين عاماً لا تستبيح لنفسها الاتصال ببعض المحارم أصبحت هذه الفتاة ترى الاتصال بالرجال للسمر والتسلى حقاً من حقوقها ، وليس فى الحرص على ذلك من عار ولا تأثيم

ومن المقرر أن الاختلاط بين النساء والرجال إذا قام على غير مقتضياته الضرورية الجادة ، وكان مبعثه اللهو والترف ، فإنه لا يلبث أن يقوض دعائم الأمم . وفى تاريخ الرومان شاهد على ذلك :

« فلما دعاهم داعى اللهو والترف إلى إخراج النساء من خدورهن ليحضرن مجالس الأنس والطرب ، فخرجن خروج الفؤاد من بين الأضالع ، فتمكن ذلك العنصر الهاجم وهو الرجل لمحض حظ نفسه ، من إتلاف أخلاقهن ، وخدش طهارتهن ، ورفع حيائهن حتى صرن يحضرن التياترات ، ويغنين فى المنتديات ، وساد سلطانهن حتى صار لهن الصوت الأول فى تنصيب رجال السياسة وخلعهم . فلم تلبث دولة الرومان على هذه الحالة حتى جاءها الخراب من حيث تدرى ولا تدرى(2) » .

الحرية وسوء فهمها

ولقد أساء الناس فهم معانى الحرية كما أساءوا فهم الاختلاط والدعوة إليه ، وجر ذلك إلى عدة شرور . وليس من شك أن الحرية من مطالب النفوس عند ما يشكو الناس من نظم اجتماعية تحول بينهم وبين الحقوق الفطرية التى وهبت لهم لتأدية رسالتهم فى العمران . وقد ينزع الطير المحبوس لحريته ، ويحن لهواء الطلق والأجواء الواسعة ، لأن فى الحبس تعطيلاً لأجنحته التى سواها الله للطيران ، وتتدرج بممارسته لكمال وظيفتها . وقد ينزع الشعب المقهور للحرية التى ضيقها عليه القاهرون لينعم بعزته القومية المسيطرة عليه ، ويطمئن إلى عاداته وآماله المحببة إليه ، ويستغل ثروة بلاده ونتائج كسبه ومسعاه . وقد يطلب المتبادلون المنافع فى أسواق التجارة حرية البيع والشراء ليجد كل من الطالب والعارض ما تتحقق به حاجته ومصلحته وأجره . وقد يهم المؤلف والكاتب والخطيب حين يصدقون بطلب الحرية لاعتقادهم أن فى دعوتهم عوناً للخير والحق . وعلى الجملة قد تطلب الحرية كأداة صالحة يستعين بها المرء لأغراضه العليا من الخير والكمال . فما هى إذن تلك الأغراض العليا التى يقصد النساء إليها ويتخذن من الحرية لها أداة صالحة ؟

أما إذا كان طلب الحرية ليصبن من العلم ما يصقل نفوسهن ويقوم أخلاقهن ، فلا يمانع فى ذلك أحد ؛ فطلب العلم الذى تتكمل به النفس فريضة على الناس جميعاً . وإذا كان الباعث على طلب الحرية هو القيام بما ينتفع به المجتمع حين يحتاج لنشاط نسائه ، فليس من ينكر عليهن تلك الحرية حين يقتضيها الحال وتدعو إليها الظروف . لكن إذا طلبت المرأة حريتها لغير ما ينفع ، كما لو أرادت أن تلبى داعى النزق لتلهو بمخالطة اللاهين ، وكما لو اتخذت من الحرية ما يستخدم لهجران بيتها لتأنس بالملاهى والمزارات والتسكع فى الأسواق ، وكما لو أرادت أن تتخذ من الحرية مطية للتبرج رغبة فى الزهو بنفسها والغرور بزينتها ، فليس من أحد رشيد يرضى عن حرية تركب للعبث والشطط .

لقد أبيح لكثرة من نساء الغرب تمشياً مع سوء فهم الحرية أن يتعرفن بمن شئن من الناس ويختلطن بالرجال بمحض اختيارهن حيثما يشأن طوعاً لحقهن فى الحرية ، أو اعتماداً على ثقتهن الموهومة بأنفسهن ؛ وقد يحاكيهن فى ذلك بعض نسائنا فى هذا العصر ، وفى بعض الطبقات مطوحات بأنفسهن بعيداً عن مألوف العرف المصرى والإسلامى ، غير مكترثات بما قد يجر إليه هذا الإمعان فى الاختلاط من مفاسد خلقية ومن أثر سيىء فى بنية الأسر وفى تقدم المجتمع وكيان الدولة . وفى الحق أن هذا التجديد المروع

(1) من تحرير المرأة (2) من المرأة المسلمة لفريد وجدى

الأندية العربية فى العراق

للدكتور زكى مبارك

تمهيد — حفلات القبول — السهرات الصحفية بين القاهرة وبغداد — نادى المعارف — نادى المثنى — نادى الشبان المسلمين — نادى الهداية الاسلامية — النادى العسكرى — نادى البصرة — نادى الجزيرة — الرابطة العلمية والأدبية بالنجف — نادى نقابة العراق .

تمهيد

حين زرت بغداد للمرة الثانية سألت معالى الدكتور سامى شوكت عن منزل أخيه الدكتور صائب شوكت فقال : « إنه يقيم فى شارع المرحوم أبى نواس » وقد فخم كلمة « المرحوم » ليبرز معنى الدعابة فى تعبيره الطريف

والمرحوم أبو نواس يحدثنا فى خمرياته أنه كان يجد الحانات مغلقة الأبواب ، وأنه كان ينادى أهلها من وراء الحجرات ليسعفوه بالشراب وأدوات الشراب ، وللشراب أدوات مختلفات الألوان

وقد سمعت أن حانات بغداد لا تزال على عهدها القديم : فهى تغلق بعد مضىّ ساعات قلائل من صدر الليل ، وتحوج قاصديها إلى قرع الأبواب ، برفق أو بعنف ، وفقاً لظرف الزمان وظرف المكان ، فلكل محلة فى بغداد ظروف

ماذا أزيد أن أقول ؟

أنا أريد القول بأن تقاليد العراقيين فى القديم والحديث توجب أن تكون سهراتهم فى البيوت ، على نحو ما كانت الحال فى مصر إلى عهد قريب ، ويشهد بقوة تلك التقاليد إغلاق الحانات فى صدر الليـل ، وسهراتُ البيوت فى العراق القديم وجدت خَلَفاً سعيداً هو سهرات الأندية فى العراق الحديث .

فكيف الحـال هنالك ؟ وهل بقى المنازل حظ بجانب الأندية الأدبية ؟

حفلات القبول

فى العراق ما يسمى « يوم القَبُـول » وهو ما نسميه فى مصر « يوم الاستقبال » وهو يومٌ من أيام الأسـبوع ينتظر فيه الرجل زائريه فى الصباح أو فى المساء : فمعالى السيد محمود صبحى الدفترى يستقبل زائريه فى صباح الجمعة ، وهو صباحية جميلة يتلاقى فيها أعيان أهل الأدب فى بغداد ، ولها تأثير شديد فى توجيه الحياة الأدبية والاجتماعية . ومعالى الشيخ محمد رضا الشبيبى يستقبل زائريه فى مساء الخميس ، وقد يتلطف باستقبال زائريه فى كل مساء ، لأنه يقيم بضاحية نائية تسمى « الزوية » وله على شط دجلة ناد جميل يشرح الصدور ، ويؤنس العيون ، وفى ذلك النادى تثار مشكلات متصلة بالعلوم والآداب والفنون ، وتُسمع فيه أغاريد « أبى كلثوم الوفدى » وهو الشاعر المفتون بأغانى أم كلثوم وأخبار الوفد المصرى ، هو السيد باقر الشبيبى الذى يحب مصر أكثر مما يحبها المصريون أعزه الله وأدام عليه نعمة الوفاء

وخلاصة القول أن لأكثر أهل العراق أندية تقام فى البيوت أيام القبول وهى أندية توّجه الحياة الأدبية والاجتماعية والسياسية وتسير بالمجتمع العراق إلى غايات فيها القريب والبعيد ، وقد تكون لها صلة بما يظهر فى الجو العراقى من شئون وشجون ، فالرجال هنالك لا يكفون عن مراقبة الاتجاهات المحلية إلا فى أندر الأحايين

السهرات الصحفية

وبجانب حفلات القبول تقام سهرات الصحفيين فى دور الجرائد والمجلات ، وهى سهرات فاتنة إلى أبعد الحدود . وهل أنسى سهراتى فى إدارة جريدة (العراق) وجريدة (البلاد) ؟ وهل أنسى أن إخوانى فى جريدة (الهدف) كانوا يعدون روحى بأكواب الصفاء ؟ وهل أنسى أن كؤوس الشاى فى جريدة (بغداد) كانت أطيب من كؤوس الصهباء ؟

الصحفيون فى العراق يذكرون بإخوانهم فى مصر من حيث الجاذبية وخفة الروح ، وأنديتهم فى جرائدهم تذكر بأنديتنا فى جرائدنا ، فما ينسى أحد كيف كان النادى الأدبى فى جريدة

فى عادات نسائنا ، هو أشد ما يخشى أثره فى أمة كأمتنا ما زالت فى طورها الحاضر تحبو فى السبيل الموصلة لعظمة الأمم

فإذا كان قد أصاب دولة الرومان ما أصابها من الضعف عند التوسع فى الاختلاط المفسد بين الرجال والنساء ، وعند التوسع فى إطلاق حريتهن ، فإن مثل هذا الاختلاط المنحرف كان له أكبر الأثر فى إضعاف بعض الأمم الغربية المعروفة فى العصر الحديث حين خبت ثقافتها ، وهزل إنتاجها الأدبى المعاصر ، وانحلت قوة المقاومة منها عند الجهاد والكفاح الحيوى

« البقية فى العدد القادم » منصور فهمى

(الجهاد) وكيف يكون النادى الأدبى فى جريدة (الأهرام) وجريدة (المصرى) وجريدة (السياسة) وإن امتزج نادى (السياسة) بنادى الأحرار الدستوريين . وهل كانت (ندوة الدستور) إلا ندوة أدبية قليلة الأمثال ؟

إن الأنس الذى يجده من يسمُر بدار (الرسالة) أو دار (الأهرام) له نظائر فتانة فى دار (العراق) أو دار (البلاد)

وكما نجد فى سهرات الصحافة المصرية أقطاب الرجال فى أكثر الميادين ، نجد فى سهرات الصحافة العراقية أقطاب الرجال فى الأدب والسياسة والاجتماع

وإذا صح للمنفلوطى أن يسجل أن النادى الأدبى فى جريدة (المؤيد) خلق أكابر الباحثين فإنه يصح لنا أن نسجل أن الأندية الصحفية فى مصر والشام والعراق سيكون لها فضل عظيم فى تكوين الجيل الجديد(1)

نادى المعارف

وأنتقل إلى الحديث عن الأندية الأدبية فأقول :

أول ناد أدبى عرفته فى بغداد هو نادى المعارف ، والمعتمد لهذا النادى هو السيد رشيد العبيدى (2) ، وهو أديب عراقى تخرج فى مصر بمدرسة دار العلوم ، وهو زميل السيد حسين بستانة ، إليه وإلى من تخرجوا فى دار العلوم أقدم أطيب التحيات ، فهم سفراء مصر فى العراق(3)

ونادى المعارف هو نادى المعلمين ، وفيه شربت أول كأس من ماء دجلة ، وفيه كنت ألقى من يسألون عنى فى مساء كل خميس

فى نادى المعارف يلتقى المعلمون كل يوم ، فيقرأون الجرائد والمجلات ، ويتجاذبون أطراف الأحاديث ، ويستعدون لاستقبال من يفد على بغداد من رجال العلوم والآداب والفنون

فإن قلتَ إن « نادى المعارف » فى بغداد له تأثير فى توجيه الحياة الأدبية فأنت صادق كل الصدق ، لأنه موصول الأواصر بأكثر البلاد العربية ، ولأن رجاله من أكابر المدرسين ، والمدرسون هم المصلحون الأوائل فى جميع الشعوب

(1) الشام فى جيم ما يخطه قلمى هى البلاد المكونة من فلسطين وسورية ولبنان (2) المعتمد هو الرئيس فى تعبير أهل العراق

(3) قد يجهل المصريون أنفسهم أن وزارة المعارف المصرية تؤدى خدمة جليلة لوصل الأمم العربية بعضها ببعض من طريق التعليم والتثقيف ، فهى تقبل جماعات من الطلبة الشرقيين بالقسم الداخلى فى مدرسة دار العلوم بدون مصروفات

نادى المثنى

ونادى المثنى هو نادى العروبة ، ومعتمده هو الدكتور صائب شوكت ، ولهذا النادى حفلات أسبوعية لاستماع المحاضرات ومجاذبة الأحاديث ، ومن أعضائه السيد محمد مهدى كبة والدكتور عبد المجيد القصاب والسيد عبد المجيد محمود ، وقد تفضل أعضاء هذا النادى فنحونى « عضوية الشرف » ، والذى وصلنى بهم هو تلميذى القديم السيد جلال الأورفه لى ، ذكره الله بكل صالحة ، وأكرمنى بدوام نعمته عليه ، فهذا المحامى النابغ كان السبب فى أن أقضى سهرات جميلة بقصر صاحب السمو الأمير عبد الإله قبل أن يصير وصياً على عرش العراق

نادى الشبان المسلمين

هو ناد يقوم بالكرخ فى دار جمعية الشبان المسلمين ، وهو ناد خفيف الروح ، وتقام به سهرات مصقولة الحواشى ، وفيه سمعت محاضرة جيدة للأستاذ محمد بهجة الأثرى ، وهو شاعر مجيد يعرفه قراء الرسالة ، وله صداقات متينة مع كثير من الأدباء الكبار فى مختلف البلاد العربية . وكانت له مطارحة أدبية مع الأستاذ الزيات سجلها فى كتيب لطيف . وقد عرفته أول مرة حين دعانى سعادة الأستاذ عبد القادر الكيلانى للتسليم عليه فى دار المفوضية العراقية بالقاهرة ، والسيد عبد القادر هو اليوم عراقى له دار مصرية فى بغداد ، وهو النموذج الحق للذاتية العربية والإسلامية ، أدام الله عليه نعمة التوفيق

نادى الهداية الإسلامية

لم أزر هذا النادى ، وإنما رأيت آثاره الجيلة فى إحياء المواسم الإسلامية ، وله مجلة تصدر باسمه يديرها الأستاذ الطائى ، ومن أعاظم رجاله الأستاذ طه الراوى ، وهو رجل عظيم لا أملّ ولن أملّ من الثناء عليه ، بعد أن رأيت دموعه تنحدر يوم أطلق الرصاص على بعض الأساتذة المصريين فى بغداد

وطه الراوى أستاذ مخضرم تزود من الثقافة الدينية والثقافة المدنية ، وهو من أقدر الناس على ضبط النفس ، فما تسمع منه كلمة تشوك خصومه فى محضر أو مغيب . ويوم تفكر مصر فى مبادلة الأساتذة سيكون من واجبى أن أقترح استقدامه للتدريس فى كلية اللغة العربية أو دار العلوم أو كلية الآداب .

فتى تفكر مصر فى هـذا النظام ليتعارف المصريون والعراقيون بدون التعرض للتكاليف المالية ؟

والمهم أن أسجل أن هذه الجمعية لها مجلة تنشر الثقافة الدينية والأدبية كما لجمعية الشبان المسلمين مجلة تسمى « العالم الإسلامى » ولهاتين المجلتين تأثير فى تكوين الأذواق وتهذيب النفوس، وإن كنت لا أدرى ما صارتا إليه بعد أن حرمت الاستصباح بظلام الليل فى بغداد

النادى العسكرى

هو نادى الضباط، وهو ناد له فى ذهن الأستاذ الزيات تاريخ. فقد قال فيه كلة لن ينساها البغداديون، فما هى تلك الكلمة ؟ أظنه قال إنه كان يسمع فيه صوت السكون، فما استطعت الاتصال به عند كتابة هذا الحديث فأعرف بالضبط ماذا قال[٤]، لأنى شرعت فى كتابة هذا الحديث وأنا بقبار السفر بعد الرجوع من بغداد، بل أسوان[٥]

وفى النادى العسكرى سمعت نكتة عراقية : صحبنى إليه رفيقان : هما السيد صادق الوكيل، والسيد جواد الشهرستانى، وأراد السيد جواد أن يدلنى على الطريق، فقال السيد صادق : لن يحتاج الدكتور مبارك إلى دليل عند الدخول، ولكن سيحتاج إلى دليل عند الخروج !

فهل كان يعرف هذا الشقىّ أن نشوة الأسمار والأحاديث ستحوجنى بعد السهرة إلى السؤال عن الطريق ؟

فى النادى العسكرى يسهر جماعات من ضباط الجيش العراقى وهم رجال على جانب من العلم والأدب والوطنية، وفيهم السيد مجيد الهاشمى، وهو رجل منوّع المواهب، وله دراية بكثير من فنون المعارف والآداب، وهو من صلات الوصل بين مصر والعراق، لأنه موصول القلب والعقل بأكثر ما يصدُر عن وادى النيل

نادى البصرة

هو مجتمع أهل الفضـل بوطن « الجاحظ » و « إخوان الصفاء »، ولو طالت إقامتى بالبصرة لاستطعت تسجيل ما به من خصائص تمثل ما عند أهل الجنوب من شمائل بيض، فأهل البصرة بشهادة جميع أهل العراق يمتـازون باللطف والوداعة والكرم والجود، وقد سمعت عن السيد الشمخانى أحاديث تذكر بأخبار معن بن زائدة الشيبانى، وآخر ما سمعت هو ما قرأت فى جريدة الأستاذ عبود الكرخى عن أخبار السيد الشمخانى فى مواسم الصيد

نادى الجزيرة

هو منتدى أهل الفضل بالموصل، ومعتمد هذا النادى هو تلميذى القديم الأستاذ جيلمران[٦]، وهذا النادى يقع على شط دجلة وفى رحاب حديقة جميلة هى معترك العواطف بالموصل، وله تأثير شديد فى وصل الأواصر الأدبية بين الأمم العربية

الرابطة العلمية

هى أعظم جمعية أدبية بالنجف « الأشرف »، وإنما وصف النجف بالأشرف منافسةً للأزهر « الشريف ». فى النجف معهد دينى يسير على أسلوب الأزهر فى أكثر الشئون، وإن لم يستطع مسايرة الأزهر فى الانطباع بطابع الزمان

والرابطة العلمية والأدبية بالنجف لها لون خاص، فأدباؤها فى حكم المنعزلين عن أدباء الموصل والبصرة وبغداد، ولهم فى إنشاد الشعر طريقة لا يعرفها من سكان العراق غير النجفيين، وهى طريقة تقوم على قواعد الترنيم، وعلى مثلها كان الشيخ سيد المرصفى ينشد الشعر فى دروسه بالأزهر الشريف

نادى القلم العراقى

هو تاج الأندية العراقية، أُسّس منذ سبع سنين أسوةً بأندية القلم فى كثير من أقطار العالَم القديم والعالم الجديد، واختير الشاعر جميل صدقى الزهاوى رئيساً، والدكتور محمد فاضل الجمالى نائب رئيس، والدكتور متّى عقراوى أميناً للصندوق، والأستاذ إبراهيم حلمى العمر كاتم أسرار

والرئيس اليوم هو معالى الشيخ محمد رضا الشبيبى، ونائب الرئيس هو الدكتور محمد فاضل الجمالى، وأعضاؤه يزيدون على

(٤) فى كتاب (وحى الرسالة) وصف لهذا النادى وحديقته جاء فيه : « والسكون مرهوب الجلال أنيس الوحشة يعمق ثم يعمق حتى تكاد تسمع النبات وهو ينبت »

(٥) أسوان مضرب المثل فى البعد ؛ وأهل مصر يقولون : أبعد من الشلال !

(٦) « جيلمران » كلة كردية، عرفت معناها ثم نسيته، فما اسمك بالعربية، يا سيد جيلمران ؟

الثلاثين ، وهم يُختارون من بين الرجال الموسومين بالمواهب العلمية والأدبية

ليس لهذا النادى دار ، وإنما يجتمع الأعضاء من وقت إلى وقت فى منازل يتوافَوْن إليها على ميعاد ، فهم اليوم فى منزل الأستاذ عباس العزّاوى ، وهم غداً فى منزل الأستاذ جعفر خياط ، وهم بعد غد فى منزل الأستاذ باقر الشبيبى ... الخ . وعلى من يجتمعون فى داره أن يقدم إليهم الشاى أو المرطبات ، إن اجتمعوا فى العصرية ، فإن اجتمعوا فى المساء كان من واجبه أن يتلطف بتقديم العَشاء الخفيف . ولا يجتمعون فى المساء إلا إن كانت دار الداعى فى مكان بعيد

وفى كل اجتماع يُلِقى أحد الأعضاء مسامرة علمية أو أدبية أو اجتماعية(٧) . ثم يدور النِّقاش بعد استئذان الرئيس ، وقد يصل النقاش إلى درجات من العنف لا يخففها إلا ضحكات الدكتور الجمالى وفكاهات الأستاذ أبى إيناس

وأعضاء هذا النادى فى غاية من الحيوية ، وهم يرسلون من يمثّلهم فى المؤتمرات التى يقيمها نادى القلم العالمى . وقد أصدروا أخيراً مجموعة نفيسة ضمَّنوها طوائف من المحاضرات التى أُلقيت فى اجتماعاتهم الدورية ، وتقع هذه المجموعة فى أكثر من ثلثمائة صفحة بالقِطع المتوسط ، وبها رسوم لجميع من حوى هذا السِّفر أبحاثهم الجياد

نجد فى صدر المجموعة مقالاً علمياً عن المجريطى إمام فلاسفة الأندلس فى الرياضيات والطبيعيات ، وهو مقال مفصَّل دبجه الأستاذ محمد رضا الشبيبى . ولهذا الأستاذ الجليل بحث آخر فى هذه المجموعة سماه (قصة فتح بغداد) ، وهو يصوّر ما كان عليه المغول من القوة الحربية والسياسية يوم استطاعوا اجتياح العراق ؛ ويمكن بسهولة أن نعدّ هذا البحث من فلسفة التاريخ

وهنالك بحث شائق للأستاذ أحمد حامد الصراف عن (الغُلاة) وهى الفِرقة التى تعبد عَليًّا وتَراه خالق الكون وسر الوجود

ولنا ملاحظات على هذا البحث يضيق عنها هذا الحديث ، وقد نرجع إليها بعد حين

وفى هذه المجموعة خلاصة وافية لأعمال المؤتمر الرابع عشر لأندية القلم وقد عُقِد فى بونيس إيرس بالأرجنتين (٥ — ١٥ أيلول سنة ١٩٣٦) ، وهذه الخلاصة هى تقرير قدّمه الأستاذ مجيد خدورى مندوب نادى القلم العراقى ، وفى هذا التقرير إشارات إلى شئون أدبية وفلسفية تستحق الالتفات

ويهمنى أن أوصى قراء الرسالة باقتناء هذا السِّفر النفيس ، فهو عُصارة جهود محمودة فى خدمة العلوم والآداب ، وهو يصوّر جوانب من النشاط العلمى والأدبى فى بغداد

ثم ماذا ؟ ثم أُجمِل الغرض من هذا الحديث فأقول :

إن الآثار المدوّنة فى الجرائد والمجلات والمطبوعات لا تمثّل أعمال الأندية العراقية كل التمثيل ، ففى تلك الأندية تدور مطارحات ومساجلات تفوق العدّ والإحصاء ، وفيها تُدرَس أعمال الأدباء الذين يصل صرير أقلامهم إلى العراق . ولأدباء الرافدَين موازين فى النقد الأدبى لا تخلو من تحرّى الدقة والعدل ، وهم يعرفون من أخبارنا الأدبية كل شىء ، ولا تغيب عنهم مرامينا إلا فى النادر من الأحيان ، كأن يصدّقوا أقوال المصريين بعضهم فى بعض ، وما دَرَوا أن تهاجى الصحف المصرية بابٌ من الرياضة على إجادة التعبير فى مختلف الأغراض

والظاهر أنى مضطرٌ إلى تذكير أدباء مصر بأنهم لا يكتبون لأنفسهم ، وإنما يكتبون لأقطار كثيرة ، وتلك الأقطار قد يغيب عنها غرام المصريين بالنكتة والمزاح ، فما نرسله على سبيل الفكاهة قد يُظَنّ من الحقائق ، ثم يؤوَّل أسوأ التأويل

أما بعد فهل يرى القراء أنى دللتهم على مظاهر الحيوية الأدبية فى أرجاء العراق ؟

إننى أوجزت القول عن الأندية الأدبية لأدّخر الفُرص للحديث عن رجال الصحافة وقادة الفكر فى تلك البلاد ، فما أحوال الصحافة العراقية ؟

سأرى ويرى معى القراء كيف تجول الأقلام وتصول فى وطن دجلة والفرات ، على شرط أن يُرفَع الحجاب بينى وبين زملائى هناك ، فلا يقال إننى أخرج على آداب الصداقة والأخوة حين أنتقل من الحمد إلى الملام . وهل أذكر أهل العراق بالسوء إلا مصانعةً للكاشحين والحاقدين ؟

كلانا مُظهِرٌ للناس بُغضاً وكلٌّ عند صاحبه مكينُ
تخبِّرنا العيون بما أردنا وفى القلبين ثَمَّ هوًى دفين

زكى مبارك
عضو نادى القلم العراقى

(٧) المسامرة هي المحاضرة فى تعبير أهل تونس . وأختار أن يكون البحث محاضرة والتعقيب عليه مسامرة

٦ – فى العقـــــد

لأســتاذ جليــل

٤٥ – (ص ٣٧٢) هند بنة أسماء

(ص ٩٩) بإبراهيم

(ص ٣٥) لا ستر الله علىّ إذاً ذنبى

(ص ١١٧): كان خالد بن الوليد يسير فى الصفوف يُذمّر[١] الناس ويقول: يأهل الإسـلام، إن الصبر عز، وأن الفشل عجز، وأن مع الصبر النصر

قلت: أراد محققو (العقد) أن تظهر (ابنة، وإذن، ويا إبراهيم، ويا أهل) كما رأيت استناداً إلى بعض مؤلفات فى (الإملاء) على أنهم لم يعملوا فى كثير من الألفاظ بما جاء فيها واللفظة (ابنة) بين علمين فى (أدب الـكتّـاب) لابن قتيبة قول يخالف غيره، وهو هـذا: « وتكتب هذه هند ابنة فلان بالألف وبالهاء، فإذا أسقطت الألف كتبت هذه هند بنت فلان بالتاء »

وفى (الاقتضاب فى شرح أدب الـكتاب) لابن السيد البطليوسى بحث فى إذن وغيرها جدير بالنشر وهو هـذا: « قد اختلف الناس فى إذن كيف ينبغى أن تكتب، فرأى بعضهم أن تكتب بالنون على كل حال، وهو رأيُ أبى العباس المبرّد. ورأيُ قوم أن تكتب بالألف على كل حال، وهو رأى المازنى[٢] ورأى الفراء أن تكتب بالنون إذا كانت عاملة وبالألف إذا كانت ملغاة. وأحسن الأقوال فيها قول المبرد، لأن نون إذن ليست بمنزلة التنوين ولا بمنزلة النون الخفيفة فتجرى مجراها فى قلبها ألفا، إنما هى أصل من نفس الكلمة، ولأنها إذا كتبت بالألف أشبهت إذاً التى هى ظرف، فوقع اللبس بينهما. ونحن نجد الـكتاب قد زادوا فى كلمات ما ليس فيها، وحذفوا من بعضها ما هو فيها للفرق بينها وبين ما يلتبس بها فى الخط. فكيف يجوز أن تكتب إذن بالألف، وذلك مؤد إلى الالتباس بإذاً ؟

وقد اضطربت آراء الـكتاب والنحـويين فى الهجاء، ولم يلتزموا فيه القياس، فزادوا فى مواضع حروفاً خشية اللبس نحو واو عمرو، وألف مائة[٣]، وحذفوا فى مواضع ما هو فى نفس الـكلمة نحو خالد ومالك، فأوقعوا اللبس بما فعلوه، لأن الألف إذا حذفت من خالد صار خلداً، وإذا حذفت من مالك صار ملكا. وجعلوا كثيراً من الحروف على صورة واحدة كالدال والذال والجيم والحاء والخاء، وعولوا على النقط فى الفرق بينها، فكان ذلك سبباً للتصحيف الواقع فى الـكلام. ولو جعلوا لـكل حرف صورة لا تشبه صورة صاحبه كما فعل سائر الأمم، لـكان أوضح للمعانى وأقل للالتباس والتصحيف. ولذلك صار التصحيف فى اللسان العربى أكثر منه فى سائر الألسنة ... »

قلت: أصاب ابن السيد فى بعض ما قال، وأشط فى بعض و « ألقى الشيطان فى أمنيته ... ». وإن الإعجام ولا سيما فى التنقيط[٤]، والعمل بأقوال أئمة فى الإملاء مسهلة، وعلامات الترقيم، وشيئاً من التيسير لا يضير ... فى كل ذلك مرغب البطليوسى وأمثاله فى هذا العصر من مستعصبي الحروف العربية وأكثر من مطلوبهم. والحروف العربية والحروف الفرنجية كلها من جنس واحد، كما ذكر ذلك فى « الرسالة » رقم ٢٢٦ ص ١٧٨١. وليست المشكلة ولا البلية فى الحرف، ولـكن فى الانحراف ...

٤٦ – (ص ٣٦٠):

الوحى بين بنى البنات وبينكم قطع الخصام فلات حين خصام

قلت: قَطعَ الخصامَ، والجلة خبر الوحى، وهذا ما يعنيه الشاعر المستجدى، وإن كان لذلك الشكل وجـه. والبيت فى قصـيدة من أشهر قصائد (التملق) وخواها أن الله أعطى

(١) قلت: ورد هذا الفعل (يذمر) هنا مضعفا، والذى فى اللغة هو ذمر يذمر ذمراً وهو ذامر مثل قتل يقتل قتـلا. وضبط (يذمر) فى طبعة (اللسان) مشدداً – خطأ. وذمره على الأمر حضه مع لوم ليجد فيه، يقال: القائد يذمر أصحابه فى الحرب يسمعهم المكروه ليشحذهم كما فى الأساس. وفى الجمهرة: (ذمرت الرجل أذمره ذمراً إذا أغضبته) والفعل: ذمر تذميراً معنى آخر

(٢) الـكاتب الـكبير الأستاذ إبرهيم عبد القادر المازنى لا يرى رأى ابن عمه ...

(٣) ابن قتيبة: مائة زادوا فيها ألفاً ليفصلوا بينها وبين منه، ألا ترى أنك تقول: أخذت مائة وأخذت منه فلو لم تكن الألف لالتبس على القارىء (قلت): كان ذلك أيام قلة الاعجام. وإذا قلت وكتبت اليوم أخذت مئة، وأخذت منه فان يلتبس على قارىء ...

(٤) ففقدات النقط فى اليـاء فى الفعل أو الاسم فى كل حالة فى أكثر المطابع المصرية – مشكلة. فمتى تتم مصانع الحروف هذا النقص ؟ وأصحابها قادرون على الاتمام ... وقد أغضب هذا التفريط حضرة العلامة الأب أنستاس مارى الـكرملى فنبه عليه فى مقالاته

العباسيين لا العلويين الفاطميين (إمامة) المسلمين وسياسة دنياهم كيف؟ ولماذا؟

مروان بن أبي حفصة لا يسأل عن هذا (الإنطاء)، ولا يدري لماذا؟

لا يبحث عن كيفية ولا سببية، ولا يهمه عباسية ولا علوية، و(بيت القصيدة) عنده هو تلك المنقوشة المسجدية والدينية

« وعلى النقـــوش داروا »

وفي (الإسلام الصحيح) القول الحق الصريح في الإمامة وفي أمور ذات بال[٥]

٤٧ — (ص ١٥٨): قال عيسى بن موسى: لما وجهني المنصور إلى المدينة لمحاربة بني عبدالله بن الحسن ...

قلت في طبعات العقد السابقة: لمحاربة عبدالله بن الحسن، وفي هذا القول خطأ، فزاد محققو الكتاب محسنين الكلمة (بني) وزيادة (ابني) أوفق؛ فالثائران هما: محمد (النفس الزكية) وأخوه ابراهيم ابنا عبدالله بن الحسن

٤٨ — ص ٦٦ ... فقال أبو جعفر لابن أبي ذئب: ما تقول في بني فلان؟ قال: أشرار من أهل بيت أشرار. قالوا: اسأله يا أمير المؤمنين عن الحسن بن زيد — وكان عامله على المدينة — قال: ما تقول في الحسن بن زيد؟ قال: يأخذ (بالإحنة) ويقضي بالهوى. فقال الحسن: يا أمير المؤمنين، والله لو سألته عن نفسك لرماك بداهية أو وصفك بشر. قال: ما تقول فيّ؟ قال: أعفني. قال: لا بد أن تقول؛ قال: لا تعدل في الرعية، ولا تقسم بالسوية. قال: فتغير وجه أبي جعفر؛ فقال ابراهيم بن يحيى بن محمد بن علي صاحب الموصل: طهرني بدمه يا أمير المؤمنين، قال: اقعد يا بُنيّ، فليس في دم رجل يشهد أن لا إله إلا الله طهور[٦]

وجاء في الشرح في تعليقة (بالإحنة): كذا في ا. والذي في سائر الأصول: (بما لا يحققه)، والمعنى يستقيم على كلتا الروايتين.

قلت: الإحنة الحقد، والغضب الطارئ من الحقد. والظن أن (بالأُحنة) هي (الرشا)، ولا يستبعد هذا في باب التبديل والتحريف والتصحيف، وما بذ (العقد) سائر الكتب بكل ذلك من شيء قليل ... والرجل يسجع، والرشا والهوى يتفقان ... ووصفه العامل بأخذ الرشا أهون خطباً من ذلك (التقريظ) الذي لطم به وجه الخليفة ... وهو الخليفة

٤٨ — (ص ٢٥٠) قال سابق البلوي:

وداهن إذا ماخفت يوماً مسلطاً ... عليك، ولن يحتال من لا يداهن

قلت: أظن أنه سابق البربري كما في حماسة البحتري وشرح المقامات للشريشي. وفي التاج: « سابق بن عبد الله البرق المعروف بالبربري، روى عن أبي حنيفة رحمه الله وعن طبقته، مشهور عندهم » وروى البحتري له في حماسته هذا البيت الفذ:

وفي البحث قدماً والسؤال لذي العمى ... شفاء، وأشفى منهما ما تعاين

وقد يكون هو وبيت العقد من قصيدة واحدة، وروى الشريشي هذين البيتين لسابق البربري:

أفي متى تلهو بمنزل باطل ... كأنك فيه ثابت الأصل قاطن

وتجمع مالا تأكل الدهر دائباً ... كأنك في الدنيا لغيرك خازن

٤٩ — (ص ٢٥٢) قال ابن أخت تأبط شرا:

مطـــرق يرشح موتا كما ... أطرق أفعى ينفث السم صل

قلت:

مطرق يرشح موتا كما ... أطـــرق أفعى ينفث السم صلُ

وقافية البيت مطلقة، والتشديد غير جائز ولو كانت مقيدة، والبيت من قصيدة تنسب إلى تأبط شراً وإلى ابن اخته وكلاهما من الأسرة الخلَفية ... وقد نقل (جوته) معانيها نظماً إلى الجرمانية وسماها نشيد الانتقام، وسأنشرها وكلمة موجزة في شاعر الجرمان الأعظم

٥٠ — (ص ٢١٨) ... كان رجل من أهل الكوفة قد بلغه عن رجل من أهل السلطان أنه يعرض ضيعة له بواسط

(٥) في ذلك الكتاب: إنما الاسلام دين التساوي، فالصعلوك مثل الرئيس ومثل الملك، والملك والرئيس مثل الصعلوك في هذا الدين. (وفيه) ما كان محمد زعيم عترة حتى يحفل بعترة، وما كان محمد لقبيلة فيمنى بأمر قبيلة، وما كان محمد لجيل أو أمة « قل يا أيها الناس، إني رسول الله إليكم جميعاً ». وليس (الكتاب) كتاب العرب، القرآن كتاب العالمين « إن هو إلا ذكر للعالمين » ومحمد للناس أجمعين. (وفيه) والله تعالى ماأنزل فرقانه ليكون شرفاً لقريش أو للعرب «إن هو إلا ذكرى للعالمين» « وذكرى لقوم يؤمنون » « إن هو إلا ذكر للعالمين » و « هدى للمتقين » فما «أوحى الله إلى عبده ما أوحى» لتوجيه قريش ولتشريف هاشم أو أمية

(٦) الطهور مصدر فيما حكى سيبويه (التاج)

في مقدم أزمة للخليفة ، فحمل وكيلاً له على بغل وأترع له خرجاً بدنانير وقال له : اذهب إلى واسطَ

قلت : بواسطٍ ... إلى واسطٍ

قال (الكتاب) : وأما واسط فالتذكير والصرف أكثر ، وإنما سمي واسطاً لأنه مكان وسط بين البصرة والكوفة ؛ فلو أرادوا التأنيث قالوا واسطة ، ومن العرب من يجعلها اسم أرض فلا يصرف

في معجم البلدان : قال أبو حاتم : واسط التي بنجد والجزيرة(٧) تصرف ولا تصرف؛ وأما واسط البلد المعروف فمذكر لأنهم أرادوا بلداً واسطاً أو مكاناً واسطاً فهو منصرف على كل حال

قالوا : وقد يذهب به مذهب البقعة والمدينة فيترك صرفه .

وأنشد سيبويه في ترك الصرف :

منهن أيام صدق قد عرفت بها   أيام واسط والأيام من هجرا(٨)

ولقائل أن يقول : إنه لم يرد واسط هذه فيرجع إلى ما قاله أبو حاتم :

٥١ — (ص ٣٧٠)

إذا ما أبى شيئاً مضى كالذي أبى   وإن قال إني فاعل فهو فاعل

وجاء في الشرح : في الأصول والأمالي في الموضعين (أبى) وهو تصحيف

قلت : في طبعة الكامل في التاريخ لابن الأثير مثل رواية الأمالي والأصول ، ورواية (العقد) هنا أفضل . وفي تاريخ الطبري (ج ٩ ص ٢٠٩)

إذا ما أتى شيئاً مضى كالذي أتى   وإن قال إني فاعل فهو فاعل

وإن ثبتت هذه الرواية فالمعنى أنه إن قال فعل ، وتصميمه على ما يأتيه ومضيه فيه كإبائه ما يأباه كما قال :

(٧) في معجم البلدان : قال الأسود : أخبرني أبو الندى أن العرب سبعة أواسط : واسط نجد ، وواسط الحجاز ، وواسط الجزيرة ، وواسط اليمامة ، وواسط العراق ، وقد نسيت اثنين

(٨) واسط مذكر معروف لأن أسماء البلدان الغالب عليها التأنيث وترك الصرف إلا منى والشام والعراق وواسطا ودابقا وفلجا وهجرا فإنها تذكر وتصرف ، ويجوز أن تريد به (بواسط) البقعة أو البلدة فلا تصرفه (الصحاح)

أبيٌّ لما آبى سريع مباءتي   إلى كل نفس تنتحي في مسرتي(٩)

٥٢ — (ص ١٤٢)

أريد حياته ويريد قتلي   عذيرك من خليلك من مراد

قلت : البيت في قصيدة لعمرو بن معد يكرب . وروايته في كتاب سيبويه والكامل والطبري والخزانة وغيرها : (أريد حباءه) ، وكان أحد الفضلاء خطأ في (الرسالة) أريد حياته . وهي رواية في البيت ، ففي شرح شواهد الكتاب للشنتمري : (ويروى أريد حياته) وفي الخزانة للبغدادي : (ويروى أريد حياته بلفظ ضد الممات) فلا خطأ هناك

***

في القول ذي الرقم ٥ (الرسالة ٤٠١ ص ٢٩٢) قلت : وعذُر جمع عذير وقد جاء في الشعر مخففاً . وقد استندت في أمر التخفيف إلى الصحاح وغيره ثم وجدت في المخصص (ج ١٣ ص ٨٢) : والعذير ما يحاوله الإنسان ويلزمه ، والعذير أيضاً الحال منه ، وكل ما يُعذر عليه عذير والجمع عذُر ، وأنشد :

(وقد أعذرتني في طلابكم العذُرُ)

احتاج إلى تخفيفه ، هذا قول أبي عبيد وهو خطأ ، بل التخفيف جاء على اللغة التميمية

وقلت في (حلّ في مالي النزر) : حل في مالنا النذر . وهي رواية الديوان وغيره ، ثم وجدت في الخزانة (ج ٢ ص ١٦٤) حل في مالنا النزر أي القلة

وفي القول ذي الرقم (٢٥) الرسالة (٤٠٢ ص ٣١٧) طارت قيس في (التاج) والجملة هي هذه : في التاج : القطامي ويضم ، الفتح لقيس وسائر العرب يضمون

ويضاف إلى ما ذكره العلامة الأستاذ الأثري وما ذكرته في شأن الفتح والضم في القطامي هذا القول في (تهذيب إصلاح المنطق) ج ١ ص ١٨٦ في باب الفُعال والفَعال : (وقَطامي وقُطامي للصقر) ، وهذا القول في خزانة البغدادي (ج ١ ص ٣٩٢) : ... وله (أي عمير بن شييم) لقبان ، أحدهما القطامي منقول من الصقر ، يقال له قطامي بفتح القاف وضمها

(٩) الشنفرى الأزدي في مفضلية وقبل ذاك البيت :

وإني لحلو إن أريدت حلاوتي   ومُرٌّ إذا نفس العزوف استمرت

يكفي التراث الشرقي

لنضج الحياة العقلية عند الشرقيين

للأستاذ عباس محمود العقاد

جرت في هذا المعنى وضده مناظرة في كلية الآداب بين الأستاذ العقاد وفريق آخر من جهة ، وبين الأستاذ الرافعي وفريق آخر من جهة أخرى . وقد نشرنا في العدد الماضي رأي الأستاذ الرافعي، وفي هذا العدد ننشر رأي الأستاذ العقاد

حضرات الإخوان والأبناء

كان من نصيبي في مناظرة هذه الليلة أن أؤيد الرأي القائل بأن التراث الشرقي كاف لنضج الحياة العقلية عند الشرقيين

وقبل أن أدخل في تفصيلات هذا الرأي أسأل سؤالاً لا أنتظر عليه جواباً لأن جوابه معروف . وهذا السؤال هو : هل يستطيع أحد أن يقول بأن الشرق خلا من العقول الناضجة في العصور القديمة ؟ هل خلا الشرق من الحياة العقلية الناضجة يوم أن كان التراث الشرقي هو التراث الذي لا تراث غيره ؟

فإذا كنا لا نرى أحداً يستطيع أن يزعم ذلك فقد حكمنا بأن التراث الشرقي كاف لنضج الحياة العقلية ، لأننا إذا أنكرنا هذه الحقيقة وجب أن نقول إن الشرق خلا من العقول الناضجة قديماً وحديثاً ؛ وهذا ما لم يقل به أحد من الشرقيين ولا من الغربيين . وأحسب أن مناظريّ سيصبح أول من يشتد في نفي هذا الزعم لو جرى به لسان في هذا المجلس أو في غير هذا المكان

* * *

وبعد فمن الواجب أولاً أن نعرف ما هو التراث الشرقي ؟ ثم نعرف ما هو النضج العقلي ؟ ثم نصل إلى النتيجة التي تؤدي إليها معرفتنا بهذا وذاك على وجه الصحة كما يقول الأدباء مقترحو المناظرة ...

فإذا تكلمنا عن التراث الشرقي أو التراث الغربي خرجت من حسابنا العلوم الطبيعية التجريبية أو العلوم التي اصطلحنا على تسميتها بالعلوم الحديثة ؛ لأن الحقيقة من حقائق الحرارة أو الضوء أو قوانين الحركة أو خصائص الأجسام — هي حقيقة ثابتة في جميع الجهات الأصلية شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً بلا اختلاف . أو هي حقيقة إنسانية عالمية تتقرر في لندن كما تتقرر في القاهرة وبغداد ، ولا يكشفها الإنسان حين يكشفها باعتباره شرقياً أو غربياً ، أو باعتباره مولوداً في الشمال أو الجنوب ، ولكنه يخترعها باعتباره إنساناً مدركاً لما حوله حيث كان . وإذا اتفق أن كثيراً من هذه الحقائق العالمية قد كشفها أناس من الغرب فليس معنى ذلك أنها خاصة بالغرب وأهله ؛ إذ هي تتمة للحقائق الطبيعية التي سبقتها منذ بداية عهد الإنسان بالمعرفة ، فهي جزء من التراث الإنساني لا مراء

ويخلص لنا من ذلك أن التراث الشرقي هو التراث الذي عليه صبغة الشرق وينتمي إليه ولا يمكن أن ينتمي إلى غيره ، وأن التراث الغربي هو التراث الذي عليه صبغة الغرب وينتمي إليه ولا يمكن كذلك أن ينتمي إلى غيره . أما العلوم الطبيعية فليست عليها صبغة شرقية ولا غربية ، ولا مانع من أن يكون الإنسان شرقيّ التراث وأن يكون ملماً بالعلوم الطبيعية في وقت واحد . وعلى هذا كيف يتطرق إلينا الشك في أن التراث الشرقي كاف لنضج الحياة العقلية عند ذويه ؟ بل إذا كان التراث الشرقي وحده قد أخرج عقولاً ناضجة في جميع العصور ، فكيف لا يخرج

واللقب الآخر صريع الغواني ، قال النطاح : أول من سمى صريع الغواني القطامي بقوله :

صريع غوانٍ راقهن ورقنه
لدن شبَّ حتى شاب سود الذوائب

وصريع الغواني لقب مسلم بن الوليد أيضاً لقبه هرون الرشيد بقوله :

هل العيش إلا أن تروح مع الصبا
وتغدو صريع الكاس والأعين النجل

قلت : أنا أنشد :

هل العيشُ إلا أن تروحَ أخا عُلاً
وتغدو خدينَ النُّبلِ والعلمِ والفضلِ

* * *

هذه العقول إذا جاز أن يقترب بالعلم الطبيعي وما إليه من تراث الإنسان ؟

* * *

شيء آخر يجب أن يخرج من حسابنا إذا تكلمنا عن تراث الشرقيين وتراث الغربيين ، ونعني هنا المعارف الرياضية من هندسة وحساب وما هو من قبيل الهندسة والحساب ، فإن الحقيقة الرياضية لا تتغير بتغير الزمان والمكان ولا بتغير الأمم والأفراد . وليس من شأنها أن تصطبغ بالصبغة الشخصية أو بالصبغة القومية حيث كانت ، بل هي لا تتوقف على الشاهدات والمحسوسات بمقدار ما تتوقف على قوانين العقل المجرد المعزول عن خصائص الأوطان والأزمان ... وأين هي الحقيقة الرياضية التي يصح على أي وجه من الوجوه أن تُسمى حقيقة يونانية أو مصرية أو صينية ؟ وأين هي الرياضة الشرقية أو الرياضة الغربية ؟ إذا قيل إن هذا قانون رياضي فقد قيل هذا قانون إنساني يملكه الشرقيون والغربيون على السواء ، وامتنع أن يتعارض هذا وما يُسمى تراثاً للشرقيين أو للغربيين

ومما تقدم يتبين لنا أن التراث الشرقي يجتمع مع العلم الطبيعي والعلم الرياضي في بيئة واحدة . ونعود فنقول مرة أخرى : إن أحداً لم ينكر أن العقول نضجت في الشرق على تراثه دون غيره ، فكيف ينكر أحد أنها قابلة للنضج إذا جاز أن تضم إليه العلوم الطبيعية والعلوم الرياضية ؟

ونصل بعد هذا إلى النضج العقلي لنقول في التعريف به كلمة وجيزة تؤكد معنى ما قدمناه

فالعقل الناضج كجميع الملكات الناضجة والحواس الصحيحة إنما يتم له النُضج بالمرانة والمزاولة أيا كان الشيء الذي تقع فيه المرانة والمزاولة

فحاسة البصر مثلاً تستوفي حظَّها من القوة بالنظر إلى الأشجار كما تستوفي حظها من القوة بالنظر إلى الصخور

وعضلات الجسم تقوى بحمل النحاس كما تقوى بحمل الحديد أو الفضة أو الذهب أو الجواهر الكريمة

والعقل يستوفي نضجه بأن يعمل ويفكر ويبحث فيما يراه ويحيط به ، أيا كانت المسائل التي يتناولها بتفكيره وبحثه

فالمهم في تصحيح الملكات والقوى العقلية أو الجسدية إنما هو في العمل والمرانة ، لا في الموضوعات والمواد التي يتناولها عمل العامل ومرانة المتمرن ؛ إذ هي في المنزلة الثانية من الأهمية . وقد يقوى النظر في الصحراء وهي خاوية أشد من قوته في المدن وهي آهلة حافلة ، مادام النظر في الصحراء عاملاً لا يكف عن الرؤية والانتباه

ومؤدي ذلك أن المهم في إنضاج العقل الشرقي أن يعمل ولا يكف عن العمل ، سواء كان موضوعه تراث الشرقيين أو تراث الغربيين

فإذا عمل فهو ناضج ، وإذا وجد مادة التفكير فهو مفكر ، وإذا امتلأ بالإدراك فهو مدرك : أيا كان موضوع تفكيره وإدراكه

والمثل المحسوس هنا أحق بالتقرير من الآراء العامة والأحكام المطلقة ، فلنضرب الأمثلة بالأسماء المعروفة ولا نقصر القول على رأي مقنع أو حكم مسلم البرهان

فما القول في هارون الرشيد ؟ وما القول في ابن خلدون ؟ وما القول في جمال الدين الأفغاني ؟ وما القول فيمن سبقهم أو لحق بهم من « الناضجين » الأفذاذ ؟

أكان هارون الرشيد حاكماً ناضج العقل أو لم يكن كذلك ؟ وابن خلدون — ألم يكن مفكراً تاريخياً ناضج التفكير يقل نظيره في السابقين واللاحقين ؟

وهكذا يقال في جمال الدين الأفغاني وكل دراسته شرقية ، وكل ما استفاده من قليل الثقافة الفرنجية لم يؤثر في تكوين عقله ولا في طبيعة التراث الشرقي الذي نشأ عليه . فهم جميعاً أنضج عقلاً من التلميذ الحديث الذي يعلم من العلوم العصرية ما لم يكونوا يعلمون

هؤلاء ناضجون لا مراء ، وكانت لهم ومن حولهم حياة عقلية ناضجة لا مراء ، وكان التراث الشرقي هو التراث الذي عولوا عليه بغير التباس ولا مناقضة ، إذا جاز الالتباس أو جازت المناقضة في شئون الرجال النوابغ الذين يعيشون معنا الآن

* * *

والواقع — أيها الإخوان والأبناء الأعزاء — أن الشرقيين لا يمكن أن تنضج لهم حياة عقلية في غير تراثهم الذي ينتمي إليهم ويصطبغ بصبغتهم

فغير ممكن كما أسلفنا أن نجعل العلم الطبيعي تراثاً شرقياً أو غربياً بأية صفة من الصفات؛ وغير ممكن كذلك أن نجعل العلم الرياضي تراثاً ينسب إلى الشرقيين أو إلى الغربيين

فلم يبق إذن إلا التراث الخاص بالشرقيين الذي لا يشاركهم في خصائصه مشاركٌ من العالمين، وهو التراث المشتملُ على مالهم من أشعار ومواعظ وأمثال وحكايات وآداب وقواعد سلوك، وفي طليعته روح العقائد الدينية والحكمة النفسية والفكرية، وما يصاحب ذلك من فقه شريعة ودين

وقد يسأل السائل في هذا المعرض: وما الرأي في الأشعار والأمثال والحكايات التي تنقل من الغربيين، وهي تراث غربي لا نزاع فيه؟

فجوابنا على هذا السؤال أن التراث الغربي الذي ينتقل إلى الشرقيين ينقسم إلى قسمين: القسم الذي يمكن أن يمتزج بحياتهم وهو من نوع تلك الحياة فلا يلبث أن يدخل في الشرق حتى يصطبغ بصبغته ويجري على سنَّته، ومثله في هذه الخصلة مثل التفاحة الأمريكية التي تجري في دم آكلها من المصريين: هي تفاحة أمريكية ما في ذلك خلاف؛ لكنّ الدم الذي يتولد منها في عروق آكلها دم مصري وليس بالدم الأمريكي أو الذي يُنمى صاحبه إلى الديار الأمريكية

وفرق بين هذه الحالة وحالة النسب الذي يخلط الدماء بالدماء ويخرج لنا سلالة لا هي إلى هنا ولا إلى هناك

والقسم الآخرُ من التراث الغربي الذي ينتقل إلى الشرق هو القسم الذي لا يمتزج بحياة الشرقيين ولا يدخل لهم في عقل ولا روح. وهذا غريب عنهم وهم غريبون عنه. وحكمهم فيه حكم المتفرج العابر الذي يمر به وكلاهما باقٍ حيث كان: هؤلاء شرقيون وذلك تراث غربي لا يدخل في عوامل النضج العقلي أو في عوامل التكوين، سواء رجعنا فيهما إلى الأفراد أو إلى الشعوب

ومعنى هذا أن الحياة العقلية إذا نضجت بين الشرقيين فهي شرقية لاحقة بالتراث الشرقي، أياً كان المصدر الذي جاءت منه أو حلت عنوانه، ولا يصح أن تنسَب إلى غير الشرق إلا كما يصح أن تنسب دماؤنا إلى استراليا وأمريكا لأننا نأكل القمح الاسترالي والفاكهة الأمريكية في بعض الأوقات

وعلى أيِّ حال ليس لنا مناص من إحدى اثنتين: إما أن نقرر أن الشرق خلا من الحياة العقلية الناضجة في جميع العصور وهو مخالف للمعقول ومخالف لإجماع الآراء؛ وإما أن نقرر أن الشرق قد عرف الحياة العقلية الناضجة ولو في عصر واحد من عصوره، وهذا في بابه مرادفٌ لقولنا: إن التراث الشرقي كافٍ لنضج الحياة العقلية بين الشرقيين.

عباس محمود العقاد

الغناء والموسيقى

وحالهما في مصر والغرب

للأستاذ محمد توحيد السلحدار بك

— ٤ —

ثلاث الكليات التي تقدم إيرادها هي بيان وجيز للملاحظات على الغناء والموسيقى في مصر والغرب ، يلاحظها كثيرون منا ، ولم يُقصد بعرضها جيلةً سوى لفت النظر إلى ضرورة الأخذ في إصلاح جدّي يقوّم من أود هذين الفنين وما يتعلق بهما عندنا . فإن استصوبها فنان محب لفنه ، وأحس بقدرة على شيء من هذا الإصلاح وتهيأ له ، فتوخاه ومهد سبيله ، كان له فضل الابتداء والسبق في خدمة جليلة

والذي يجمل بذوي الهمة من الفنانين هو قبل كل شيء ، أن يحاولوا رفع ذلك الحب المريض من حضيض ذله الذليل ، وأن يطبوه بأشعة البشاشة وروح المشاشة لعلهم يزيلون عن قلبه تسعة وتسعين في المئة — على الأقل — من هذا الحزن الذي ران عليه ، وينقذونه من طوفان دمعه السخّين ؛ والمجال ، بعد هذا الإسفاف ، واسع شاسع الأطراف : أفليس أمامهم حب الأصحاء ، سعيدُه وشقيه ؟ وسائر الأحاسيس والخوالج كنز لا يفنى . لهم أن يختاروا منه ما يسهل وصفه : كألوان العواطف الوطنية والعائلية ، وكالحماسة والفرح وغيرها ؛ وفي الطبيعة جمال مشرق باسم يمرح الشباب أمامه في أحضانها ويلاعب ويداعب ، ويتهكم ويغاضب ، ويجالس ويؤانس ، ويتراقص ويتماشق ، ويغني ويطرب في هناء وابتهاج . كل ذلك قد لا يتعذر على الفنان الحي تصويره بمنظوم شعره ومنثوره ، أو بألحانه ، أو غنائه ، أو موسيقاه ، إن هو اعتمد على بصيرته وبصره ، واستهدى شعوره ، وراد آفاق نفسه ، وطاوع وحي قلبه محترساً من تقليد سواه[1]

وإذا حل أن يُعبر للعامة عن أمثال هذه الموضوعات بالعامية فهل يَحرم أن يُعبر عنها بالفصحى للصفوة المثقفة ، وبالفصيحة السهلة الواضحة للخاصة المتعلمة على أن يكون الاتجاه بها إلى التعميم؟

والمأمول أن ترجح في الغناء كفة ما كان من النثر والنظم شعراً ما دام مجرد استعمال الكلمات التي ألفها الشعراء : كالقمر والزهر والفؤاد والوداد والنيل والنخيل ، لا يردّ غثّ الكلام وسفسافه شعراً . وإن بين الناثرين والناظمين شعراء بصراء ، تُشعر أغانيهم بقدرة تمكّنهم من الإتيان بأغان تشرّفها ، لولا استقرار العادة على مراعاة التقاليد التي سلطها الجهل وضعف الطبع ، ولولا طلبات الملحنين والمغنين الخاضعين لأذواق الجمهور الفسيدة

أما الملحن ، فالنصيحة الخالصة له أن يوطّد العزم على نبذ العادة القديمة ومقاومة التقاليد السقيمة ؛ وأن يتحاشى عن نية تقليد الشرقي والغربي على حدّ سوى ، ولا سيما التقليد الأعمى من اقتباس عبارة صوتية معينة — مثلاً — يعجبه أسلوبها فيُقحمها في لحنه غافلاً عن مدلولها[2] ، أو من مد مخصوص ، أو من تعمد التحزين الخارج عن الفن ، ومما إلى هذه الأمثلة .

فإن كان صادق العزم ، فسبيله أن يطبّ نفسه أولاً من الذلة والخور والخنوع ، ويشفيها من داء الحزن العضال ، ومن التفجع المقيت والعويل الثقيل ؛ وأن يحررها من بدعة التخنث والتكسر

---

(١) جاء في المخصص : « ينبغي أن توضع الألحان فيما شاكلها من الأشعار : فنها ما يبلى ويرقق ، وهو لما كان من الشعر في الغزل ، والتشوق إلى الوطن ، والبكاء على الشباب ، والمراثي والزهد ؛ ومنها ما يطرب ، وهو لما كان في نعت الشراب ، وذكر الندماء والمجالس ، والصبوح والمساكر ؛ ومنها ما يشوق وترتاح له النفس ، مثل صفة = الأشجار والزهر ، والمتنزهات والصيد ؛ ومنها ما يسر ويفرح ويحث على الكرم ، وهو لما كان في المديح ، والفخر ، وصفة الملك ؛ ومنها ما يشجع ، وهو لما كان في الحرب ، وذكر الوقائع والغارات والأسرى ، وغير ذلك ؛ وهذا كله يدعى غناء » . ج ١٣ ، ص ١٠ ، طبعة بولاق سنة ١٣٢٠ هـ .

نقلنا هذه الفقرة لبيان أن العشق لم يكن في العربية ، عند المتقدمين ، إلا واحداً من شتى الموضوعات التي تناولها غناؤهم ؛ وكان لكل موضوع عندهم ما يلائمه من الألحان ، كما ترى ؛ وبديهي أنه ليس حتما أن يكون كل الغزل والتشوق إلى الوطن حزينا وأن يغنى بلحن يبكي .

(٢) في المخصص أيضاً : للألحان لصوص يسرقون النغم كلصوص الشعر . فمن الشعراء المفتضح ، كالسارق القصيدة والبيت كله ؛ ومنهم دون ذلك ، كالسارق الكلمتين والثلاث ، والسارق للمعنى يكسوه كلاما آخر .؛وكذلك المغنون : فمنهم السارق المفتضح الذي يسرق اللحن كما هو وينقله إلى شعر آخر ، كفعل الطنبوريين في زماننا هذا وغيرهم من مقاربي أصحاب العيدان ؛ ومنهم من يسرق بعض اللحن بصيحة له ، أو صيحة منه ، أو ردة ، أو نشيد ؛ ومنهم من تخفى سرقته ، مثل من يسرق تأليف لحن في الثقيل الأول ، وينقله إلى إيقاع آخر إما ثاني ثقيل أو رمل أو هزج ؛ ومنهم من يجيء إلى ثلاثة أصوات أو أربعة في الثقيل الأول على أصبع واحدة فيسرق جزءا من هذا ، أو صيحة من هذا وردة من هذا ، فيصوغ صوتا من أصوات » . ج ١٣ ص ١١

والتمييع ، ليخلص أولاً من كل هذه العلل الوبيلة التي مكّنها منه استحسان العامة وأشباه العامة . ومما يعينه على النجاة النزهة الخلوية ، والرياضة البـدنية ، والمطالعات المنعشة ، والصاحب المؤنس المفرح ، وإجالة الخاطر في الموضوعات الملائمة للغرض ، والإيحاء التلقائي[٣] .

والأجدى له في عمـله هو أن يمعن في التفكير بادىء بدء في فحوى ما هو مقبل على تلحينه من الـكلام ، وأن ينظر ملياً في جمله وكلماته وحروفه ، ليتبين الروح الذي أملاه ، والموقف الذي يصف ؛ ثم يتصور أنه هو في هـذا الموقف ، وأن ذلك الـكلام كلامه ؛ فإذا أرهف حسه ، وأيقظ ملـكاته ، وهيأ نفسه وشعر بإيحائها وارتياحها إلى التلحين ، أخذ في الترنم بالأغنية ؛ ثم يكرر التغني حتى يجيء مدلول اللحن مطابقاً لمدلول الـكلام المعبّر عن الحال النفسية التي استمارها لنفسه هو من الموقف الموصوف بالأغنية ؛ ثم يترك اللحن الذي وضعه أول وضع ، ويرجع إليه مرة بعـد مرة لتهذيبه وإحكامه على مقياس تلك المطابقة ، لا ابتغاء جعله مشابهاً للحن آخر ، أو مرضياً لذوق خاص ؛ فيدع الصوت يعبّر التعبير الطبيعي ، ويطابق مقتضى المقام المدلول عليه بالـكلام بمـا أنه قد تمت اعتقاد وجوده هو في هذا المقام ، واعتاد هذا الاعتقاد حتى استقر ما بفكره ونفسه في عقله الباطن[٤]

وأما المغني ، فسبيله أن يعمل في التدرب على غناء اللحن ما عمل صاحبه في إنشائه ، بعد أن ينفي عن نفسه ما استطاع من ذلك الحزن المميت وتلك الذلة الساحقة ، سواء أكانت تقليدية أم طبيعية ؛ ولا بد له من أمور منها :

أن يقضي مدة قبل مزاولة الغناء في تقوية صدره وتعميق نفَسه ومدّه ، وإلانة حبـاله الصوتية ، والتمرّن على التنفس في الغناء ، حتى لا يقطع بقصر نفسه عبارة صوتية من لحن يغنيه ، وحتى لا يظهر أنه يختمها ونفَسه وشيك الانقطاع ، لأن هذا يخدش أسلوب العبارة . ومن مقتضيات الإجادة أن يؤديها أحسن أداء ، ويختمها قادراً بما في نفسه من بقية وافرة ؛ ولذلك كله وأمثاله طرائق وتمرينات معروفة

وأن يهجر الغناء إذا كان من ذوي الخنخنة ، ولا يغنّي مزكوماً أو متخوماً ، أو مخموراً

وأن يحرص في غنائه على نقاء صوته وصفائه ، فلا يعرقل جريانه بمثل قلبه الياء من حرف النداء همزة لينطق آ بدل يا ، أو بمـا يشبه مأمأة ، وتارة عواء ، أو ما يشبه عند الوقف شهقة الجمال حين يلقي حمله ، أو ما يماثل توجع الريض والجريح في تصويره ألم العاشق

وألا يقطّع صوته بالوقف إلا بالقدر الضروري لإحداث مزيّة ، كتنبيه المستمع إلى معنى الـكلمة التي يقع الوقف على آخرها

وألا يطيل غناءه مستعيناً بغناء الجوقة معه ولا يكرر ذلك كثيراً ، وإذا غنّى معها فلا بد له من إظهار صوته على أصواتهم وأصوات معازفهم ، لأن الناس إنما يريدون سماع صوته هو ، وهذا غير الجوقة الغنائية[٥] ؛ لـكن لا ينبغي له أن يعلو بصوته إلى طبقة لا يبلغها بغير عناء ، لأن أقلّه يعكّر صفاء صوته ويزيل رواءه ويعيب غناءه وإن أطرب في الطبقة التي يقدر عليها .

من أجل ذلك يجب عليه أن يتخيّر من الألحان والأغاني ما يلائم طبعه ، وقوة صوته ، ونوعه

إن المتقدمين من أهل المدنية العربية ميزوا أصوات المغنين فقالوا مثلاً : أجشّ ومُجلْجِل وكرواني ؛ والغربيون يميزونها فيقولون مثلاً : باص وتينور وكونترالتو وسوبْرانو ؛ فلا يغني كل صوت إلا ما يلائمه من الألحان ؛ وظننا أنه قد آن لنا أن نبدأ هذا التمييز مثل أصحاب الفن الصحيح

يحسن بمن يزاول فن الإطراب أن يعتبر بهذه الملاحظات ويتحرز من الخطأ الفني ويتحاشى العيوب المشار إليها في هذه الـكلمات وعن أمثالها ، كعدم إخراج الحروف من مخارجها بالدقة ، وعدم لفظ الـكلمة واضحة . ومن الأصوات المسموعة في مصر ما يطرب ويمكن الافتتان فيه ، وبين الملحنين والمازفين مهرة ليس يستحيل عليهم التفوق على أنفسهم ، وإنما المعول كل المعول على فهم حقيقة الفن ومقاصده ، بدل القناعة بوسائله

ولسنا نقول إن المسلك الذي ننصح بسلوكه يغلب الوراثة وأثر البيئة واستقرار العادة ، فيغيّر الحال في الساعة ، لـكنه مهما كان شأنه فهو مؤثر ، وعامل من عوامل التطور ؛ أو هو كالدواء الذي يوصف لذي علة لا برء منها ، فقد لا يخلو من نفع للمعلول إذ الطبائع متفاوتة والشذوذ قد يوجد في بعضها ،

(٣) Autosuggestion
(٤) Le conscient dans l'inconscient

(٥) Chœur

ولأسرار الطبيعة مفاجآت ، ومحاولة الاهتداء خير من الاسترسال في الضلال ، وكل ما يبلغ غاية ، له بداية

هذا وإن المقدمة الموسيقية تليها التقاسيم بالمعازف ، فالليالى فالموال فالأدوار ، نظام لا بأس به ؛ على أن تقديسه والتزامه في كل حفلة لا يوجبهما الفن كما يتوهمون ، بل إن تحسينه واجب . ولم لا تقام حفلات كبيرة مخصوصة بالموسيقى وحدها وهى مطربة إذا جادت ، وفى البلاد ألوف للمازفين والمحبين لها ؟ وفى الغرب قاعات مخصوصات بها مشهورات تكتظ من المستمعين . ولم يصفرون شأن البشرف والتوشيح فى حفلاتهم فلا يغنون هذا كله ولا يعزفون ذاك بأجمه ؟ ولم لا يحاول أحد منهم أن ينشىء شيئاً يماثلهما ، أو يبتكر أنواعاً أخر إن استطاع ؟

إن موسيقانا لم تدرك شأو غيرها إذ عجزت حتى الآن عن التصوير (Harmoni) ، وليس بعقل أن التصوير مستحيل فى الموسيقى الشرقية ؛ لأن الموسيقى الغربيـة مثلها ، لها سلم ومقامات ونغات ، ولها الأقيسة الزمنية والإيقاع ، ولها الأساليب الصوتية تعبِّر بها عن الأحاسيس تعبير الأساليب البيانية ؛ والأحاسيس جميعاً موطنها النفس ، وشأن النفس واحد في الإنسان أينما كان ؛ والموسيقيان كاللغتين العربية والفرنسية مثلاً ، اللتين فيهما المجاز والتشبيه والاستعارة والكناية والمحسِّنات البديعية ، وأوجه البلاغة ، لوحدة المصادر البشرية من الفكر والمخيِّلة والمشاعر ، بل بينهما أوجه شبه فى النحو والصرف[6] ؛ وقد كانت موسيقى الغربيين ومعازفهم بسيطة ، كموسيقانا ومعازفنا ، فتناولوها بالتحسين حتى ارتقيا إلى مرتبة التصوير الذى تفوقا به منذ عرفوا تركيب الأنغام فى زمن معاً ، أى فى إيقاع واحد[7] ، وإخراج الصوت الآلى من طبقته الضعيفة ، أو من الجزء الضعيف فى زمنه[8] ، وإنشاء الجملة الغنائية تسمع بُعيد الجملة الأساسية فى انسجام وائتلاف معها[9]

فأى شىء فى الموسيقى الشرقية يمنع من تقليد هـذا الفن ؟ إذن لا يقول بأن التصوير مستحيل فيها إلا جهول كسول .

والرأى للمشتغلين بالغناء والموسيقى عندنا أن يجدُّوا فى ترقيتهما معتقدين أن الموسيقى ستبلغ ، أو سوف تبلغ ، مرتبة التصوير العالية ؛ وإذا اتجه نظارهم إلى مظنة وسيلة للترقيـة فتعرفوها واستخدموها ارتقوا بفنهم درجة ، وطمحت أبصارهم إلى ما فوقها

ونحن ، بحمد الله ، عندنا الناى كالفلوت ، والقانون كالبيانو (وقد استصنع بعضهم بيانو فيه ربع المقام « إياه » فصُنع) ، وطبلة كطبلة ، والكمان ، وفى وسع الموسيقيين أن يستعينوا الصناع على تحقيق أغراضهم بتحسين المعازف على الوجه اللائم لما يتفرسون من وسائل الإصلاح ، أو باستحداث ما يعوزهم من الآلات بدل ادعاء الابتكار والتجديد والتفوق بلا حق

فإذا نحن أردنا أن نخرج موسيقانا من حالها البدائيـة ، أو طورها الأول الذى ما برحت عارية فيه ، فلا بد من أن نأخذ فى نسج ثوب موشى لها — ثوب التصوير ، وهو غير التوافق بين الألحان وأصوات المغنين

ومتى تيسر التصوير ، وتميزت أصوات المغنين بحدود طبقاتها وألوانها ، وتبينت نسبتها إلى المعازف ، وبدأ التلحين بوحى النفس الحرة من التقليد ، الطليقة من قيد القوالب ، البريئة من السرقة ، أمكن أن يرتقى الغناء المسرحى بصاحبة الموسيقى ، وأن يقدم أصحاب الفن وشعراء المسرحيات إلى الجمهور أوبريت ثم أوبرا - كوميك ، ثم أوبرا جيدة ليس شك فى أنها تطربه وتعجبه وإن لم يستسغ ماقدم إليه حتى الآن بهذا العنوان من خليط مستغرب ، ومسمى يتبرأ منه اسمه

وليتهم على الأقل يزيدون المعازف إلى ثلاثة أضعاف العـدد المعتاد لكل نوع منها فى الجوقة ، ربما يهتدون إلى التصوير ، فإن ذلك يقوى العزيف فيحسِّنه فيما نرى تحسيناً متواضعاً أفضل من لا شىء ، لكنه لا يكون من الإصلاح المنشود

ألا إن الجهل والاقتصار فى الاشتغال بهذه الفنون على استرزاقها لا يوصلان إلى شىء مما ينهض بها ؛ ونهضتها ، يوم يتحقق ، إنما يكون ثمرة التطور فى ضوء العلم والثقافة ؛ على

---

(٦) العربية والفرنسية من اللغات التى تتغير فيها صيغ الكلمات وأواخرها فى التذكير والتأنيث ، والجمع والتثنية ، مثلا تبعاً لوظائفها حين تركيبها فى الكلام (langues à cas et déclinaisons) ؛ وفى اللغتين الاشتقاق (dérivation) ، وتصريف الأفعال (conjuguason) ، والماضى (prétérit)، والمضارع (présent et futur) ، والأمر (impératif) وليستا من اللغات التى تجمع فيها أوائل الكلمات ، أو مقاطعها الأولى التى لا تتغير ، جمعاً لا تتحد فيه كل الاتحاد ، فيكون منها مركبات تعبر عن عدة علاقات كاللغة اليابانية (langues agglutinantes) . ويعرف ذلك كل من اطلع على بعض المباحث فى مقابلة اللغات .

(٧) Contrepoint

(٨) Contretemps

(٩) Contre-chant

أن الأمة تتقدم إذا قام كل جيل من أبنائها بما عليه من حمل أعبائها مسافة على طريق الفلاح؛ وكلما صح ذوقها، ورق ودق، يسمو مثالها الأعلى في الفن. فعلى محبي الغناء والموسيقى والتلحين، المشتغلين بالفن من شبابنا المسلم، أن يتعلموا ولو مبادىء ما في الغرب منه، وأن يكثروا من الإصغاء إلى تحف الموسيقى والغناء لأعاظم الفنين والموسيقيين الغربيين أينما وجدوا إلى ذلك سبيلاً؛ هذا إلى قراءة شيء من تاريخ الموسيقى وكلام نقادها في إحدى اللغات الأجنبية، وقراءة بعض المؤلفات العربية

لكن ذلك وحده لا يُسعف وليس يكفي الآن، بل العمل المنظم في هذا الزمن المستنير هو السبيل القصد إلى الغاية، وفي مصر معاهد أهلية وحكومية للموسيقى يجب عليها أن تلتفت إلى حقيقة حال هذه الفنون عندنا، وإلى ما يصلح من شأنها، فذلك خير لها من أن تظل على الأيام صوراً جوفاء خاوية لا تصلح إلا لتمكين الفن السقيم الضعيف والمحافظة عليه، ويجمل بالوزارة المختصة أن تعنى بهذا الأمر

يجب أن يحمل أرقى هذه المعاهد وأقدرها أعباء النهوض بفنونها، وأن ينشئ لذلك قسماً خصوصاً يهتم بها من الجهة الفنية النظرية، والعلمية الثقافية؛ وأن يقوم بشئون القسم نخبة من أصحاب الفن المولعين به لا يُعيّنهم لوظائفهم فيه سوى مؤهلاتهم الطبيعية والفنية والثقافية وقدرتهم على ما يُندبون له نخبة ممن يطمحون إلى المنزلة الرفيعة والفضل في إحياء فنونهم وإنهاضها في الشرق برأسهم أحقهم بهذه الرئاسة، ويجب أن يقتني القسم مكتبة ينظمها التنظيم العلمي الحديث، ويجمع فيها المطبوعات الغربية والمؤلفات الشرقية المطبوعة والخطية؛ ويبحث في كل مكان عن النصوص الشرقية الدفينة والضائعة ولو مترجمة إلى بعض اللغات الأجنبية كاللاتينية واليونانية والفارسية، إذ قد يجد فيها ما يلقي ضوءاً على فنون المتقدمين فينير النهج للمتأخرين؛ ويشترك في المجلات الفنية، ويسترشد عند الحاجة ببعض المعاهد الغربية المختصة بهداية السائل إلى جميع الكتب أو الطبعات أو النصوص في أي موضوع بعينه (١٠). ويجعل القسم بعض رجاله صلة بين جهده النظري وجهد معهده في اتجاهه العملي. ويجب أن يقوم المعهد بنوع من الإرشاد والرقابة على سائر المعاهد، وبإرسال البعثات المختارة من الناجحين في الفنون الشرقية إلى المعاهد الغربية.

ولا بد، أخيراً، من التنبيه إلى آفة الغلو في بذل الثناء لكل من هب ودب من الفنين والموسيقيين، وعلى ضرر نعته بأعظم النعوت، كأن الناعت يريد إظهار شاعريته هو وبراعته البيانية فلا ينجح ببعده عن الحقيقة. ذلك يضر حقاً ولو كان بحجة التشجيع أو تمجيد الأمة والوطن حتى لكأن البلاد تنبت النبغاء في كل فتر من أرضها والعباقرة في كل شبر؛ فإن مثل هذا الغلو في الثناء الكاذب يهزأ منه وليس من الحكمة ولا الوطنية في شيء، لأنه يغر فيعمي ويصم فيسبب الوقوف، بل التأخر بدل التقدم، وهو لا يصدر عن أهلية للتقدير، وإنما يكون في الغالب لأغراض بعيدة عن مصلحة الفن والأمة.

محمد توحيد السلحدار

(١٠) Instituts bibliographiques



قطط وكلاب وناس !

منظر كم تمنيت بعده أن لم تقع عليه عيناى ! ومع ذلك فقد لبثت دقائق كثيرة أحملق فيه وأطيل النظر ، كأنما وقعت منه على فرجة تبتهج لها النفس !

فى شارع كبير من شوارع هذه المدينة العظيمة : — القاهرة عين أفريقية وملتقى الحضارتين الشرقية والغربية — وقفتُ على مقربة من صندوق القُمامة ، فإذا بى أرى فى ناحية قططاً ثلاثة ، وفى ناحية أخرى كلبين ، وعلى قيد خطوة من هذه المخلوقات بنتين وصبيين وعجوز

وقفت أنظر ... فيالشناعة ما رأيت من منظر ، وياالهول ما جاشت به نفسى من المعانى تلقاءه ! وإنى أعيذك أيها القارئ أن تستكثر علىّ استشعار الهول فيما رأيت ، وأن ترده إلى استغراق فى العاطفة يلحق بالضعف ؛ وإلا رميتك أنا بالقسوة ، وعندى أن القسوة هنا — على أى حال — إنما هى شر مما تزعم من ضعف .

راحت هذه المخلوقات الآدمى منها وغير الآدمى تنبش القمامة فتمد الكلاب والقطط أرجلها الأمامية ويمد الآدميون أكفهم حتى لتكاد تلتقى تلك الأرجل وهاتيك الأيدى كأن لا فرق بينها فى شىء

وجعلت أنقل البصر من القطط إلى الكلاب ومن هذه إلى البنتين والغلامين والعجوز وأول ما برز لى من المعانى هو صورة من تنازع البقاء فى هذه الدنيا لاحت بين أفراد كل فريق من جهة ، ثم بين كل فريق وفريق من جهة أخرى

كانت القطط تقوس ظهورها وتنفش شعورها وتخطف العظام إحداها من الأخرى ، فإذا أرادت أن تختطف شيئاً من الكلبين دارت معركة قصيرة بين الفريقين ، فإذا زجر الصبيان الكلبين والقطط فى حذر وخوف ، جرت القطط فتربصت على خطوتين لتعود بعد لحظة ، واستعلن الشر فى وجهى الكلبين ، فتركهما الزاجرون من الآدميين ومضى كل إلى ما كان فيه من عمل . وكان يفرح هؤلاء التعساء من الآدميين إذا دارت المعركة بين الكلبين والقطط واستمرت لحظة طويلة ، فيكبون إذ ذاك فى عجلة ونشاط فى التقاط ما تنكشف عنه القمامة من بقايا العظام ولقيمات الخبز وقشور الفاكهة وما إليها قبل أن يعود فيشاركهم فى التقاطها أفراد الفريقين الآخرين

وكان كل من الصبيين والبنتين والعجوز يزحم الآخر ويسابقه فى نبش كومة جديدة من الكناسة فإذا عثر أحدهم على لقمة كبيرة نوعاً لاح فى وجهه مثل ما يلوح فى وجه الباحث عن الذهب فى أرض الذهب إذا التمع فى عينيه عرق من المعدن النفيس ؛ ويقذف الصبى باللقمة فى حجره وقد زادها قيمة عنده أنها خلصت له من قرنائه ومن القطط الثلاثة ومن الكلبين

ومرت بى أثناء ذلك بعض السيارات الفخمة تحمل أنماطاً من سراة القوم ، ومن هؤلاء من لاحظت أن عيونهم رأت ما رأت عيناى إلى جوار صندوق القمامة ، ولكنى لم أتبين فى وجه من هاتيك الوجوه الناعمة الراضية أية اختلاجة من أسف أو من رثاء . أجل لم أتبين فى هؤلاء السادة «عبيطاً» مثلى يرى فى ذلك المنظر ما يستوقف بصره . وإذ ذاك ازداد رثائى ضعفين على أولئك التعساء الذين يشاركون الكلاب والقطط فى نبش الكناسة وليس يملك مثلى لهؤلاء إلا العطف والرثاء

ألا ليت أولئك السادة انتبهوا ففطنوا إلى أن هؤلاء الذين نزلوا إلى مستوى الكلاب ينتمون إليهم فى « آدميتهم » وأنهم فى هذا الوضع يشينون الجنس كله . ثم ألا ليت أولئك السادة تذكروا أن القليل مما ينفقون فى شهواتهم كفيل بأن يقضى على أمثال هذه المناظر إن كان يهمهم القضاء على تلك المناظر ...

آه . . . ليت أولئك السادة حين تقع أعينهم على بنيهم وبناتهم إذ يلقونهم فرحين بما يتقلبون فيه من نعمة ، يذكرون أنهم رأوا بنين وبنات من تعساء الإنسانية تلتقى أيديهم الهزيلة بأرجل الكلاب والقطط فى نبش صندوق القمامة

الخفيف

لذكرى المولد النبوى

ميـــلاد نبى . . .

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

مَنْ ذلكَ المَبعوثُ فى الصَّحْراءِ   كالصُّبحِ بيْنَ جوانبِ الظَّلْماءِ ؟
نُورٌ مِن الحقِّ المُبين ومطْلعٌ   جَاءتْ به البُشْرَي مع الأنباء
قَبَسٌ من اللهِ الكريم وشُعْلةٌ   من رحمةٍ ومنارةٌ لِضياءِ
يَجدُ السُّراةُ به دَليلَ سَبيلِهِمْ   وَمنارَهُم فى الظُّلمَةِ العَشْواء
كانوا حَيارَى ماتأَلَّفَ جمْعُهُمْ   فى عُصْبةٍ أوْ أُلِّفُوا بإِخاء
يتَخَبَّطُونَ عَلَى ظلامٍ حالكٍ   جَهْم العواصِف مُظْلِمِ الأَنْواء
مافيه من وَضَحِ الطَّريقِ مَعالمٌ   أوْ فيه من هَدْيِ السَّبيل مَرائى
هذا طريقُ الجاهليَّةِ لم يكُنْ   إلاَّ طريقَ الخُلْفِ والشَّحناء
تَحدوهُمُ فِيه نوازِعُ فتنةٍ   وتحُثُّهُمْ فيه دَوَافعُ داء . . .
هَذا طريقُ الجاهليَّة مُوحِشٌ   ما فيه من نَبْتٍ ولا خضْراء
يتعثَّر السَّارونَ فيه بخُطوَةٍ   مَحْبوسَةٍ وَمَوَاطِئٍ عَمْياء
لا يَستقِرُّ على المسيرِ قرارُهُمْ   كيفَ القرارُ عَلَى الطَّريقِ النَّائى
هذا طريقُ الشِّركِ مُختلطُ الصُّوى   وَعْرُ المسالِك ضَيِّقُ الأَنْحاء
ما فيه من مَمْشًى بغَيرِ تعثُّرٍ   أو فيه من قدَمٍ بلا إعْياء
يمشى الحيارَى فيه بين مَسارِبٍ   مَطْمُوسَةٍ ومَعالمٍ نَكْراء
متحيِّرين على السَّبيلِ كأنَّهُمْ   قَدْ مَسَّهم جِنٌّ مِنَ الصَّحْراءِ
شاءٌ بِلا رَاعٍ يؤلِّفُ بَينَها   وَرَوَاحلٌ تمشى بغَيرِ حُدَاءِ
أيْنَ الدَّليلُ علي السَّبيلِ يَسُوقُها   وَيردُّ عَنها صَولَةَ الأعْداء ؟

هَذا ظَلَامُ الجاهِليَّةِ لم يكنْ   إلاَّ ظَلامَ الفِكر والآراء
أدْجَى من الليل البهيم حُلوكةً   وَأشَدَّ وَقْعًا مِنْ يدٍ سَوداء
كانوا خَفَافيشَ الدَّياجى لم تَعِشْ   إلا بجوٍّ حَالكِ الأَرْجاء
يَمْشُون فى الجَهْلِ القَدِيم قهاثلاً   يَترَسَّمُونَ به خُطَى الآباء
متفرِّقين هُناكَ . . . لم يتفيَّأُوا   لخَميلةٍ . . . أو يُمْسِكوا ببناء
عَبَدُوا من الأَوْثَانِ كلَّ حجارة   مَنْحوتةٍ أوْ صَخْرَةٍ صَمَّاء
وَأَدُوا وَليدَتَهمْ بغيرِ جَريرَةٍ   أرَأيْتَ مَقتُولاً بغيرِ جَزَاء
مَا ذنبُها حَتَّى يُعفِّرَ خَدُّها   برمالِ تلكَ الحُفرةِ الصَّفْرَاء ؟
لو أنها سُئِلتْ لَكانَ جَوَابُها   يُدْمِي القُلوبَ بأنفُسِ الرُّحَماء
إرْثٌ من الجَهْلِ البغيضِ وفكرةٌ   أدْلَى بهـا الآباء للأبْنَاء
الجهلُ رَقْطاءُ يُسَمِّ نَابُها   كيْفَ الحياةُ على يَدِ الرَّقْطاء ؟

وَبدا الصَّباحُ على بَطائح مكةٍ   ضَاحى المشارقِ سَاطِعَ الأضواء
يَمْشي إلى النُّوامِ فِي غفَلَاتهم   وَيُفِيقُهُمْ مِنْ هَجْعَةِ الإغفاء
يأيها النُّوامُ . . . ! إن مَساءكُمْ   قد غَيَّبَتْه جوانبُ البَيْداء
وَمحَته كفُّ الله وهي كفيلةٌ   بالصُّبحِ وَاللَّمَعانِ وَاللألاء
فى نور (أَحْمَدَ) مِنه نورٌ سَاطعٌ   أكرِمْ بتلكَ الآيةِ البَيْضَاء
يَمْشى على ظُلَمِ الجزيرةِ مَاحياً   ظُلُماتِ تلك الشُّبهةِ القَتْماء
الليلُ طال على الوجودِ فأبْشِروا   بالفَجر بيْن سَنًى و بين سَناء !
هذا عَمودُ الصُّبح أبْلَج وَاضحاً   يَمْشى بنور الحُجَّةِ الغرَّاء
هذا هو الحقُّ المُبينُ فلم يكنْ   خُدَعَ السَّراب ولا مَخَايلَ ماء
هو نعمـةٌ لله بين قبائلٍ   ما كان أحْوَجها إلى النَّعماء
فَضْل تمثَّلَ فى ظهور (محمدٍ)   واللهُ جمُّ الفضل والآلاء

هذا الصباح على الجزيرةِ مُشرقٌ   فى كل رُكْنٍ منه لمْحُ رَجاء
قد آذنَ الليلُ البهيمُ بجَلْوَةٍ   وَانشقَّ عن صُبْحٍ بغَيْرِ خَفَاء
نورٌ أضَاءَ الحقُّ فى جَنباته   مُتأَلِّق النَّسَمَاتِ وَالأَنْداء
تَنْجَابُ عَنْ مَسْراه كل دُجُنَّةٍ   وَيَغيبُ من مرآهُ كلُّ مَسَاء
تلك الأشعَّةُ من خِلالِ وميضه   فيها لمرضَى النَّفسِ كلُّ شِفَاء
بُشراكُمُ مَرْضَى القلوبِ ، فإنما   جَاء الطبيبُ لكُمْ بخَيْرِ دَوَاء
هذا نبيّ الله أشْرَقَ بَينكم   وَأَتَى لكُمْ بالوحْى والإيحاء
الله يُلهمهُ بكل كريمة   وَيُمِـدُّه بالنَّصر والنُّصراء
هذا المبرَّأُ من عيوب زمانه   والخالصُ الخالِي مِنَ الأقذاء



دراسة اجتماعية لبعض قبائل السودان

في عصر يوم الخميس الماضي ألقى الأستاذ محمد جلال عبد الحميد في سراي الجمعية الزراعية الملكية محاضرة موضوعها « دراسة اجتماعية لبعض قبائل السودان » ، وهي ملخص لمشاهداته ودراساته العلمية أثناء رحلة استغرقت نحو السنتين بين هذه القبائل في السودان وأوغندا ، استهلها بنبذة قصيرة في تاريخ البعثات الإثنولوجية بالسودان وأواسط أفريقية فقال : إن البعثات في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر كانت جغرافية وعسكرية ودينية ، ولم تبدأ البعثات الإثنولوجية في تلك المناطق إلا في نهاية القرن الثامن عشر ، وآخر هذه البعثات هي التي قام بها هو في حوض النيل ابتداء من أكتوبر سنة ١٩٣٦ إلى ديسمبر سنة ١٩٤٠ ؛ فبحث فيها أولاً عن الريف المصري ، ومنطقة نيمولي ، والمنطقة الجنوبية من مديرية الجزيرة ، ومنطقة البحر الأحمر ، ومنطقة بلاد النوبة ؛ وثانياً عن الثروة العلمية لحوض النيل

ثم انتقل إلى دراسة البيئة الجغرافية وأثرها في السكان . ثم تكلم عن الأجناس البشرية ، ثم عن الحياة الاجتماعية ، ثم عن الحياة الدينية ، ثم عن الحياة الأدبية والفنية ، ثم عن النشاط المادي ؛ وختم المحاضرة بخلاصة لدراسة سكان حوض النيل من الوجهة العلمية ، وإمكان وجود قانون اجتماعي للتطور البشري ، وقد اكتفينا بسرد عناصر هذه المحاضرة القيمة اعتماداً على أن الأستاذ المحاضر سيرسل إلينا خلاصة وافية لها

وقد قدم المحاضر إلى الجمهور الدكتور محمد محمود غالي بهذه الكلمة :

عندما سمح سعادة فؤاد أباظة باشا لجماعة تبسيط المعارف أن يقوموا بإلقاء محاضرات في السراي الصغرى ، كان هذا كسباً لأعضاء هذه الجماعة ، وهذه هي المحاضرة الثانية يلقيها صديقنا الأستاذ محمد جلال عبد الحميد ، يحدثنا فيها عن شيء من بحوثه الاجتماعية عن قبائل تحيا في الحوض الطبيعي ذاته الذي نحيا فيه وعلى النهر العظيم الذي نعتمد عليه

كان يربطني بصديقي المحاضر ذكريات تجعلني أثق بشخصه وأنظر بعين الاطمئنان لبحوثه ، وإنني سعيد باهتمام حضرة صاحب السعادة أباظة باشا بشأن جلال ومعاونة سعادته له ودعوته إياه ، هذه الدعوة التي جاءت تكريماً لصديقنا العالم

رأيت المحاضر لأول مرة في باريس منذ عشر سنوات ، ولم تكن قد صقلته الأيام بعد ، أو غيرت فيه ما تلقنه من المجتمع أو المنزل أو المدرسة . دخل « السوربون » يتخبط كغيره ليعلم ما لا يعلم ، ويهضم ما يتعلم ، ويوازن بين ما كان يعلم وما يجب أن يعلم ؛ ولم يكن لجلال معين يكفيه مئونة العيش ، فكافح للأمرين : كافح للكسب أولاً وللتعليم ثانياً . وظننت في وقت أنه سيخر صريع هذا الكفاح المنيف ، ولكنه كسب عيشه في باريس شريفاً ، وصرف ذلك من أجل ما هو أشرف : في الدرس

لم يَعِشْ في الجهل القديم ولم يكنْ ... من يومه في زُمرةِ الجهلاء
الله صفَّاهُ لنصرةِ دينه ... واختارهُ لتحمُّلِ الأعباء
حَمَلَ الأذاةَ فكان أقوى عُدَّةً ... وأشدَّ مُصْطَبَرًا على الإيذاء
هـذا الوفيُّ لربِّه ولدينه ... هل ينجحُ المسْعَى بغيرِ وفاء؟
يا مَن تغرُّهُمُ الحياةُ رخيصةً ... الله في أخذٍ وفي إعطاء!
هذا الفقيرُ أتى يقودُ جماعةً ... استعصمتْ منهُ بخيرِ لواء
قلْ للدُّولِ بجاهه وبماله ... المالُ ليسَ مُكوِّنَ العُظماء
هذا رسولُ الله لم يَعقُدْ به ... عن مجده أن كانَ في الفقراء

يا مُلْكَ قيصرَ قد رُزِئتَ بحادثٍ ... ما شاهَدَتْهُ الرومُ في الأرزاء
ميلادُ (أحمدَ) كان مولدَ أُمَّةٍ ... عربيةٍ وشريعةٍ سمحاء
خرجتْ من الصَّحْراءِ أصلبَ مكسراً
كصلابةِ الأحجارِ في الصَّحْراء
الرُّمحُ في يدها عسيرُ المُلتوَى ... والسَّيفُ في يدها صقيلُ الماء
كانتْ أشدَّ على السَّلامِ رعايةً ... وأشدَّ صبراً في رحَى الهيجاء
تدعُو إلى الإسلامِ كلَّ جماعةٍ ... وتُجيبُ في الإسلامِ كلَّ نداء

محمد عبد الغني حسن

والتحصيل . وعلمته الأيام كيف يتكون ، وكيف يكون رجلاً

جمعتنا مصر بعد فرقة ، وسعى إليَّ يحدثني عما فعل ، وأي شرف ناله من هذا السعي ، وأي غبطة شعرت بها عندما تتبعت الفروع التي نجح فيها ، وأي فرح غمرني عندما علمت أنه أصبح مبعوثاً لمعهد الأجناس الفرنسي لدراسة المناطق الإفريقية التي لا يقبل الكثير منا على ارتيادها ، ثم مبعوثاً لجامعة فؤاد الأول . عندئذ علمت أن الرجل قد تكوّن، وأنه نال تقدير العلماء . بعد ذلك رحل وحيداً إلى قبائل (المابان) وغيرها ، وعاد بعد غيبة طويلة، ثم عرج إلى مناطق الحدود المصرية السودانية على ساحل البحر الأحمر. وها نحن أولاء نسترق من الصديق العالم ساعة قبيل رحلته التي سيقوم بها بعد يومين إلى بلاد النوبة

محمد محمود غالي

تعقيب على مقال

في المقال الذي نشره الدكتور زكي مبارك في العدد ٤٠٢ من الرسالة ، رداً عليَّ ، مسألتان جديرتان بالتعقيب ، وهما :

١ — أن الدكتور قال : إنه قد عدى (حَرَم) بالحرف [أي من] في بعض قصائده ، وهو يتعدى بنفسه ، فاعترض عليه بعض أدباء الشرق ، فدافع عن هذه التعدية بأنه قد يرى المعنى في بعض الأحايين لا يؤدي تأدية صحيحة إلا إذا عبر عنه بتلك الصورة — وهو نفس الدفاع الذي اعتضد به الدكتور في تعدية (أمكن) باللام .

وأقول لحضرة الدكتور إن الفعل (حرم) يتعدى بمن أيضاً . وعندي شاهد لذلك عثرت عليه في بعض مطالعاتي للأغاني .

٢ — أن الدكتور ذكر في هذا المقال استطراداً أن العواصري بك كان كتب في مجلة المجمع اللغوي عن (نادي التجديف) بالدال المهملة ، فكان من رأيه أن (التجذيف) بالذال المعجمة ، قال الدكتور : وقد ناقشته يومئذ في جريدة البلاغ ، فقلت إن الشعراني في مؤلفاته يرسمها بالقاف ، فيقول : (التقذيف) الخ ما قال .

وأقول لحضرة الدكتور : إني رجعت إلى مجلة المجمع اللغوي ، فوجدت أن العواصري بك لا يقول شيئاً من ذلك ، بل رأيته قد خطأ التجديف والتجذيف والتقذيف . وقال إن الصواب هو : الجدف والجذف والقذف ، مصادر جدف وجذف وقذف . وبرهن على ما قال في بحث مسهب .

أقول : وأما أن الشعراني في مؤلفاته يرسمها بالقاف فيقول : (التقذيف) ، فالشعراني ليس بحجة . ولعله يحكي اللفظ الذي كان شائعاً في زمنه ، كما يقول المصريون الآن : (التجديف) . وليس بين معنى (الجدف) و (التجديف) صلة ، إذ (التجديف) هو الكفر بالنعمة .

ع . ا

أنصبة السودان من جهاد الديمقراطية

جميل من مكتب الصحافة أن يطالعنا بأسماء أبنائنا الألى جادوا بالأنفس الغوالي والمهج الغوالي في تدعيم أركان السلام ، سلام قوامه المبادئ الصحيحة والقوميات المعتدلة التي يهمها أن تبقى وأن تساعد الغير على البقاء ، وأن تعين الإنسانية على الخير والنماء

وجميل من مكتب الصحافة أن يسجل لنا والحرب دائرة رحاها أننا لم نكن في المؤخرة يوم أن حمى الوطيس بين الخير والشر . وجميل منه أن يبادر فيلبسنا تلك القلادة الفاخرة التي يشهد العالم أجمع أننا لم نرض أن يطغى الطغيان على هذا الكون فيعذب الإنسانية ويكبلها بأقسى القيود ونحن واقفون موقف المتفرج الذي لا يهمه الأمر ؛ بل قمنا بنصيبنا في حفظ تراث الإنسانية الخالد الذي قام على الفضيلة والحق والمساواة

أجل ! فليشهد العالم أننا قمنا بنصيبنا في حفظ تراث الإنسانية نصيباً بذلناه في سبيل المال على ما نحن فيه من عسر ، فبعثنا به إلى ما وراء البحار لنشعر أنفساً هنالك أننا لم نكن ناسين ما هم فيه ولا جاحدين ما يعملون . وليشهد العالم أننا قد قمنا بنصيبنا فقدمنا إلى الموت أنفساً عزيزة علينا في ذاتها عزيزة علينا لأن بلادنا في قلة منها ، بل وتشكو أرضنا الفاقة والبوار حيث لم تجد من يعمرها فيحببها ولا من يثثمرها فيغنيها

قدمناها إلى الموت أنفساً كان في حياتها للبلاد نماء وثراء ، وقدمنا إلى الموت أنفساً كانت لأهلها أملاً ورجاء . وقدمنا إلى الموت أنفساً كانت للنزلاء عوناً وسخاء ولجاراتها ذخراً لدى البلوى وبهجة في الخير والسراء

قدمناها لتحمي ذمار الإنسانية وليلقى عدوها من أيدي أصحابها بلاء ونكالاً ما داموا أحياء ، وليئوب — إن ماتوا — ملطخاً بدمائهم وهي على وجهه عاراً ولأبنائه شناراً

أما هم ففي موتهم خلود ، وفي موتهم فخار ، وفي موتهم حياة . خلود لأسمائهم وبلادهم وحياة للإنسانية الطاهرة التي لا ترضى أن تسود الفوضى ويتحكم الطغيان

ففي ذمة الله من مات ولينم في خلده منعماً بما حفظت له البلاد من يد هي سندها يوم أن تجلس الأمم لمطالعة الحساب وهي باقة

عبقة نقدمها لأبناء الأمبراطورية يوم يزف لهم النصر الأخير .

وأنتم أيها الجرحى فلتهنأوا بما متعكم الله به من أوسمة لا تخلع وبما حمدته لكم البلاد من بلاء لا يجحد . إذ أنكم أقمتم الدليل على أنكم لم تهابوا الموت ولم ترحموا العدو حتى تقاكم بما عطلكم عنه أياماً نرجو ألا تطول لتتمكنوا من العودة إلى حيث تسهرون عينه وتطيرون لبه ؛ فلا يقوى على حمل السلاح ليتقيكم به ، بل يتقيكم بما يكف أيديكم عنه (وهو الاستسلام) لأنكم لم تقصدوا تعذيب بني البشر وإنما قصدتم أن تهزموا الشر الذي كان قد استحوذ على النفوس فأغواها وأضلها عن السبيل السوى والخير المشترك

(الخرطوم) عبد الله عبد الرحمن

جريدة « الإصلاح » في عامها الخامس

دخلت جريدة « الإصلاح » التي يصدرها بالسنبلاوين الأستاذ عبد الفتاح قنصوه في عامها الخامس ، وهي أتم ما كانت استعداداً ، وأصدق ما تكون اجتهاداً ، وأبصر بالغاية التي تتوخاها منذ أنشئت ، وهي علاج الأدواء الاجتماعية بالحكمة الهادية والموعظة الحسنة، حتى غدت في إقليمي الدقهلية والشرقية وحدة اجتماعية وأدبية لها أثرها الظاهر ومكانها المعروف . و « الرسالة » تقدم إلى زميلتها العاملة أخلص التهنئات بعامها الجديد ، وتدعو الله أن يديم عليها التوفيق في خدمة الله والوطن

« مكتوب على الجبين » للأستاذ محمود تيمور

بعث إلى الأستاذ محمود تيمور بسفره القيم « مكتوب على الجبين » فأنست إليه وقتاً غمرني فيه بألوان اللذة والمتاع فكان من أسعد الأوقات لنفسي، سعادة العقل بإحساس الجمال، وإرهاف الحس بتذوق الفن، وإمتاع النفس برائع التصوير، وهو إذ يطالع العربية بمكتوب على الجبين يضيف إلى القصة تحفة فنية من الأدب العالي، وصفحات خصبة من القصص السامي، وعالم جديد يظفر بالفكر إلى الحياة الرقيقة ، ويشير إلى المثل العليا من العاطفة

مكتوب على الجبين مجهر ينفذ إلى الأعماق فيظهر وراءه ما دق من خلجات النفوس ، ودنيا زاخرة بألوان العواطف . ولم ينهج الفنان فيه نهجه في مؤلفاته الأولى وإنما تجلت في مؤلفه الأخير دقة تعبير ، وسلامة نظر ، وهدوء طبع ، ساعد المؤلف على كشف نواحي مغمورة في أدب القصة . ومكتوب على الجبين مجموعة تنتظم من قصص صغيرة تتناول نواحي حيوية مختلفة بالبحث الدقيق والتحليل العميق ، فهو يستلهم فنه من الأعماق كما يقصد الغواص أثمن اللآلئ من أعماق البحر ، وهو الآن لا يكتب عن حوادث واقعية وكلها من ابتكار الخيال المحض ، فهو إذ يبتكر صورة تكون شخصاً أقرب إليك من أشخاص الحياة ، يمتعك الفنان إذ تشهد حوادث القصة وهي تسير سيراً مألوفاً ينفذ إلى النفس حقيقة تتسم بمبسم الواقع ولا يخطر ببال أنها من عمل الخيال الفني البارع في تشبيهاته ومعانيه بالغاً غاية الطرافة والإبداع ما يستهوى النفس ويأخذ بمجامع القلوب . قد تأمل أن أذكر لك ما هذه القصص، وفي ذلك عبث بجمالها وسحرها

صدر الأستاذ كتابه بموضوع فريد عن كتابة القصة الفنية تتلوه أربع عشرة قصة منها : « كان في غابر الزمان — العيون الخضر — ذات مساء — ابتسامة — قلب كبير — و... كلها من روائع القصص ، وشماع الحس المرهف ، والخيال البديع الذي يخلع على الفن آيات الجمال ؛ وللأستاذ أسلوب سهل لين يحاكي النسيم رقة ، وأنت إذ تطالع قصصه ، سرعان ما تحلق بك إلى سماء الفن ، إلى أعالي لبنان وجبالها الشامخة ، وبين ربوعها الجميلة وأنسامها العاطرة ، إلى الصحراء الواسعة وبين صخورها ، إلى المجتمع الصاخب ، إلى الموسيقى البديعة ، إلى ... إلى ...

ومكتوب على الجبين هو عاشر مجلد أخرجه الأستاذ محمود تيمور في العربية، وله في الفرنسية، وله في الألمانية مجموعة ترجمها واختارها المستشرق السويسري الدكتور «ديودمار» ؛ ولا غنى لمثقف عن مطالعة مؤلفات الأستاذ تيمورعامة ، ومكتوب على الجبين خاصة : ففيها غذاء العقل والروح وتعتبر بحق أثمن وأجل ما ظهر في أدب القصة وذلك ما يشهد للأستاذ بالإبداع، ويكتب لآثاره الفنية الخلود

فإلى الفنان أبعث آيات الإعجاب والتقدير . . . وإلى القصة تهنئتي بأميرها الأستاذ تيمور

طه عبد الحميد الشيمي



الهـــذيان

للأســـتاذ نجيب محفوظ

أوشك الفجر أن يطلع ، وتصايحت الديكة إيذاناً بطلائع النور ، فأخلدت الحجرة إلى السكون والصمت ، كأنما أسلمها أنين المرض الوجع وتأوه الإشفاق الأليم إلى الهمود . كانت ترقد على الفراش امرأة شابة يبدو من اصفرار وجهها وذبول خديها وشفتيها وتضعضع كيانها أنها تعانى وبال مرض يهتصر شبابها . وعلى فراش قريب رقد شاب فى مقتبل العمر يثقل جفنيه السهاد، ويأبى القلق أن تلتقى أهدابهما، يطالع وجه المريضة فى حزن ثم يعطف رأسه إلى مهد جديد فيجرى الحنان فى عينيه الذابلتين ويتمتم فى رجاء صادق : « اللهم صن حياة الأم المسكينة ... وطفلتنا البريئة » . وكان الشاب من ذوى القلوب الرقيقة والنفوس الندية بالرحمة والعطف . وكان على عهد صباه يلذ لرفاقه أن يدعوه رجل البيت ، لما طبع عليه من النفور من المجتمعات والأندية ، والاشتراك فى المظاهرات التى تستهوى أفئدة أقرانه ، والانجذاب نحو البيت بسبب وبغير سبب ؛ فكان يقضى نهاره فى الحديقة يسق أشجار البرتقال والليمون ، أو فى السطح بين الدجاج والحمام ؛ فإذا كان الخميس أعطى ذراعه لشقيقته ومضيا معاً إلى السينما . ولذلك أخذ يفكر فى الزواج تفكيراً جديًّا منذ اليوم الذى عين فيه مهندساً بمصلحة الأشغال العسكرية . وراح يقتصد من مرتبه ما يقوم بنفقات الزواج من مهر وشبكة وهدايا وفرح ، كما كان يفعل شباب الجيل الماضى . فلم يكد يمضى عليه عامان خارج المدرسة حتى تزوج ، ولم يدهش أحداً أن تنعطف هكذا سريعاً إلى الزواج هذه النفس المطمئنة إلى الحياة البيتية منذ نعومة الصبا ، ولكنه كان سيء الحظ ، فما كاد يستدير عام ويستقبل طفلة حتى أصيبت زوجه بحمى النفاس فزلزل بيته الهادئ المطمئن وارتجت حياته السعيدة . وقد عرف منذ اليوم الأول للمرض ما الخوف وما الإشفاق وما الجزع، واندفع إلى استدعاء أعظم الإخصائيين من الأطباء حملة الباشوية والبيكوية غير مبق على مال أو ضان بثمين، حتى اضطر إلى بيع المذياع وساعته الذهبية، ولو طلب إليه أن ينقل دمه إليها لأداه إلى آخر قطرة ... وبالغ فى ذلك ، فطلب من مصلحته إجازة كيلا يفارق المريضة ، وكان يرقب أعين الفاحصين من الأطباء ويسألهم ، ويطالع وجه زوجه ساعة بعد ساعة ، ويسأل العرافين ، ويزور أضرحة الأولياء ويفسر الأحلام ، ملتمساً الطمأنينة فى مظانها جميعاً . . .

وهل ينسى الليالى التى قضاها مسهداً قلقاً لا يغمض له جفن ينظر ببصر حائر إلى الوجه الشاحب على ضوء المصباح الأحمر الخافت ؟ . . . وكانت هى مسكينة تستحق الرثاء ، تضطرب بين النوم القلق واليقظة الحائرة ، وبين النزاع والهذيان ، وما هذا الهذيان ! . . . إنه ظاهرة عجيبة تدل على أن الإنسان قد يخون نفسه كما يخون الآخرين . كان يصغى إليها وهى تذكر بلسان متقطع أسماء أناس وأماكن وحوادث كثيرة ، وكان شاركها شهود بعضها ، فجرى الابتسام على فيه ، وترطب التهاب عينيه المحمرتين بنظرة حنان . وفى ذات ليلة سمعها تناديه بصوت واضح قائلة : « صابر » فهرع إليها متسائلاً : « نعيمة ... هل تحتاجين إلى شيء ؟ » ولكنه أدرك أنه خدع لأنها كانت مغمضة العينين يابسة الفم كما يبدو من ازدراد ريقها بصعوبة ، فعلم أنها ماضية فى هذيانها الذى لا ينتهى فعاد إلى سريره ، وما كاد يرقد مرة أخرى حتى سمعها تقول وكأنها تحادثه : « صابر . . . أنا متألمة خجلة » فهز رأسه المثقل التعب وقال لنفسه : « أنت متألمة بغير شك . أعانك الله على ما أنت فيه ، ولكن مم تخجلين ! إن هذا الابتلاء لا يخجل أحداً وإن كان يحزننا جميعاً » وظن أنها تألم لما يتكلفه من حولها من العناء والسهر ، فرمقها بنظرة حنان ورجا أن يكون هذا الشعور من آى اليقظة والشفاء ؛ واستدركت المرأة تقول : « زوجى أحسن الأزواج ؛ أما أنا فشقية ... لست أهلاً لوفائه » فتنهد الشاب حزناً وتمتم قائلاً بصوت غير مسموع : « أنت أهل لكل خير » . وأراد أن يناديها لعله ينتشلها من تيار أفكارها المحمومة ، ولكنها حركت رأسها بعنف على الوسادة وقالت بحنق : « راشد ... كفى وابتعد عنى ... إبتعد ودعنى ... » وكان يهم بمناداتها فاحتبس الكلام فى فيه ، وحملقت عيناه المسهدتان ، وبدا على وجهه الذهول والإنكار وجلس فى فراشه وهو يتساءل :

« راشد ! من راشد هذا ؟ » . وكان يشعر شعوراً باطنياً بأنه لا يسمع هذا الاسم لأول مرة ، وكأنما سبق أن آذى مشاعره .
وأسند جبينه إلى كفه وأغمض عينيه ، وكأن صاحب هذا الاسم يعيش فى الظلام ، فقد رآه وعرفه ، وأحس لذلك رجفة تسرى فى مفاصله ... راشد أمين أو أمين راشد — لا يذكر — شاب نافسه فى طلب يدها على عهد خطبته لها ، ولولا أن والدها فضله هو واختاره لكان قد تزوج منها . وقد تذكر أنه رآه مرة وإن كان لا يحفظ من صورته أى أثر ؛ ورفع رأسه مرة أخرى ونظر إليها بعينين مرتابتين لا تصدقان ؛ ورغب رغبة حارة فى أن يستزيدها ويستوضحها ، ولـكنه لم يدر كيف يحثها على الكلام ، ورأى شفتيها تتحركان فى ضعف ؛ فدنا من حافة سريرها وأرهف السمع وكتم أنفاسه وهو يعانى جزعاً جنوناً فسمع صوتها يقول فيما يشبه الأنين : « من يقول هذا ... أف ... والخيانة ... راشد ... صابر ... الخيانة شيء قذر ... » فشبك كفيه وشدهما على صدره بحالة عصبية كأنما يضرع إلى شيء مجهول أن يمنع كارثة على وشك الوقوع ، وذهل بصره من طول الجمود على وجهها ، فغاب عنه ما حوله ، وكبر الوجه فى وهمه حتى ملأ الفراغ الذى أمامه فثقل عليه وسمج ، ودوى صـدى صوتها فى أذنيه ، فصار كطنين لا ينقطع ، وثقل تنفسه ويبس حلقه ... ما هـذا الذى تتكلم عنه ؟ ! ما هذه الخيانة التى أطلق الهذيان عقدة كتمانها فانطلقت خبيثة منكرة أنكى من الحمى ؟ ! هل يكذب الهذيان ؟ كيف يكذب الهذيان ؟ ! ولـكن كيف يصدق أذنيه وما بذل زوج لزوجه عشر ما بذل من الرقة والمودة ، وما بذلت زوجة لزوجها عشر ما كانت تبذله له من الصفاء والإخلاص ؟ فكيف انطوى هذا على أقذر ما تبتلى به الضمائر والنفوس ؟ رباه ... إنها تقول إن الخيانة شيء قذر ، وإنها لكذلك ، ولكن لا يفزع فى هذيانه من قذارتها إلا من انغمس فى بؤرتها . رباه ... لقد ظن أن ما ابتلى به من مرض زوجه أقسى ما ابتلى به إنسان ، فإذا به بلاء هين عابر ، لا يقاس بما هتك الهذيان أستاره ، وأحس اليأس يحبس أنفاسه ، وكان صابر دمث الأخلاق ، لين الجانب رقيق الحاشية ، لا يدفعه الغضب إلى الانفعال الشديد والعدوان ولـكنه يشل حركته ، ويعطف اندفاع أعصابه إلى صميم نفسه ، فيجعله كسيارة يدفعها محركها ، وتقيد الفرملة عجلاتها ، ولكنه بالرغم من هذا ، تحولت رأسه بحركة عصبية إلى سرير الطفلة ، وبرح فراشه فى سكون ، ودنا منه وأزاح ستاره ، وألقى نظرة غريبة على الوجه الصغير المدمج القسمات وأدام إليه النظر والشك والألم يأكلان قلبه بقسوة ، ثم تحول عنه إلى وجه زوجه كأنه يسألها ويستوضحها ، ودنا من فراشها كالسائر فى نومه حتى التصق به وكانت مغمضة العينين بادية الاصفرار والخور، تقلب رأسها ذات اليمين وذات الشمال ، فألقى عليها نظرة جامدة ، جرى فيها بريق القسوة جريان البرق فى السحاب الداكن ، وكان قبل لحظات إذا وقف موقفه هذا اضطرب جسمه من الحنان والرحمة ، ودمعت عيناه ، ولـكن قلبه تحجر هذه المرة فمال عليها حتى نسمت عبها أنفاسه وسألها : « نعيمة ... نعيمة ... ماذا فعل راشد ؟ » فلم تنتبه إليه ولم تصح ، فرفع صوته وناداها وهو لا يدرى : « نعيمة » فبلغ صوته مسمعى أمها فى الحجرة القريبة . وقامت المرأة من فراشها مضطربة وهى تظن الظنون وهرعت إليه متسائلة : مالها ... هل أعطيتها الدواء ؟ ولم يكن أعطاها شيئاً ، وكان يريد استبقاء حالة الهذيان التى تعانيها ليستنطقها ما يريد فكذب عليها قائلاً فى استهانة وقسوة : « نعم وهى بخير والحمد لله » وعاد إلى فراشه وأسند رأسه الثخين بالجراح إلى الوسادة ليتخلص منها ، ولبثت حماته قليلاً . وفى أثناء ذلك أخلدت المريضة إلى الهدوء والسكينة كأنما راحت فى نوم عميق فبرحت المرأة الغرفة وكان يتشوق إلى إيقاظها ولـكنه خشى التى فى الخارج ، فمضى بقية الليل مفتوح العينين محموم الرأس بالأخيلة الشيطانيـة وعيناه زائغتان ما بين فراش المريضة ومهد الطفلة

وحين سـفور الصباح عاودت اليقظة المريضة وبدا عليها أنها لا تحس شيئاً حتى اهتدت عيناها إليه فدبت فيها حياة ضعيفة وقالت بصوت غدا من وهنه كالصفير « ما الذى أيقظك ؟ لماذا ترهق نفسك هكذا ؟ » فرد عليها بنظرة جامدة وكانت تبدو ذاك الصباح أشد هزالاً وشحوباً ، ولاحت فى عينيها نظرة الوداع الخفيفة ، وكان يشغل باله شيء واحد أسهده الليل ولم يجهل أن إثارته خطر يهدد بالقضاء عليها ، ولـكنه لم يحس سـواه ولم يبال غيره ، وكان يشعر نحوها ساعته بحنق وكراهية ورغبة فى الانتقام فقال بلهجة جافة : « تـكلمت الليلة الماضية كثيراً ، فشرقت وغربت ، وأجرى الهذيان على لسانك كلاماً يحتاج إلى إيضاح » فلم تفهم شيئاً ونظرت إليه بعينين لا تعبران عن شيء سوى الذهول المطلق ، وأراد أن يسترسل ولـكن منعه عن

الاسترسال صراخ الطفلة فجأة ، فما لبث أن هرعت إلى الحجرة حماته والمرضعة فنكص على عقبيه مغضباً وهو يقول لنفسه : « الطفلة الملعونة تدارى فضيحة أمها وأبيها ! » . وغادر البيت يهيم على وجهه ومضى يحدث نفسه : « كان ينبغى أن أعلم كل شيء وقد أتيحت لى فرص ، لماذا أفر من صراخ الطفلة ؟ أو من ظهور جدتها ؟ الحقيقة أنى ضعيف ... ضعيف ... دائماً يندى قلبي بالحنان وبالعطف ، فما كان أجدر بى أن أكون ممرضة ... أما رجلاً فلا ... لست رجلاً ولست زوجاً ... فأمثالى نساء كاملات ، أو رجال مغفلون ... ومع هذا هل أنا فى حاجة إلى دليل جديد ؟ دمرت حياتى وانتهى كل شيء »

وقضى النهار ضالاً لا يقر ، يتردد الألم فى صدره مع أنفاسه ، وعاد مع الأصيل إلى البيت فوجدها أسوأ حالاً وأشد هزالاً . وأقبلت عليه حماته تسأله أين كان ، وتقص عليه ما قاله الطبيب ، فلم ينفذ شيء من قولها إلى صدره وعاف الرد عليها بتاتاً ، بل لذ له أن تقول إن الحالة سيئة ، فلتتألم كما يتألم ، ولكن كيف يفهمها أنه يعلم كل شيء ؟ كيف يحادثها فى هذا الموضوع الخطير وأمها لا ترضى بمفارقتها فى مثل تلك الحال الخطيرة ؟ ... واشتد به الحنق ، فاعتزم أن يمنع عنها الدواء ليعاودها الهذيان سريعاً فيسمع منه ما امتنع منه سماعه فى اليقظة ؟ وملأ الفنجان ماء خالصاً ووضعه على فم المريضة فازدردته بامتعاض ... وعاد إلى فراشه يرقب الفرصة ، ولكن زوجه لم تنم فى تلك الليلة ولم تهدأ واشتد عليها الألم الموجع فباتت تئن وتشكو وتضطرب. واستدعى الطبيب عند منتصف الليل فعاينها ولكنه لم ينصح بشيء ، وهمس فى أذنه بأن الحالة جد خطيرة ... وبعد هذا التصريح بنصف ساعة احتضرت المريضة وفاضت روحها

وخلا إلى نفسه ، وكان الذهول مطبقاً على حواسه جميعاً ؛ لأن الموت والخيانة الزوجية انتظما تجاربه الشخصية معاً فى ساعة واحدة دون عهد سابق بهما . وماتت نعيمة ولم يحزن لموتها ، ولكن حادثة الموت أذهلت نفسه الرقيقة المرهفة ؛ على أن الحقيقة لم تغب عنه فقال : « لم تمت كما يظنون ... أنا قتلتها ... قتلتها لأنى منعت عنها الدواء ليلتين متواليتين هما أشد ليالى المرض ... فأنا قتلتها ... » وجعل يردد « أنا قتلتها » . فكان يشعر لها بوقع غريب فى نفسه يمتزج فيه الخوف بالارتياح

ثم قال مرة أخرى : « وقتلتنى هى حياً ، وألصقت إسمى قسراً بطفلة إنسان سواى ... ولكنى قاتل فلست إذن مغفلاً » . وأسند رأسه إلى يده وراح فى تأمل طويل وقد سرت فى جسده قشعريرة البرد والخوف

* * *

كيف انقضت الأيام التى أعقبت الوفاة ؟ ... إنقضت فى ألم وقلق ومخاوف لا يمكن أن تتمثل لعقل إنسان ، ثم أعلن عن رغبته فجأة فى السفر إلى لبنان انتجاعاً للصحة والراحة ، وكان فى الحق يفر من أفكاره وطفلته . ومضى إلى الأسكندرية واستقل السفينة ، والظاهر أن نفسه الرقيقة تعرضت فى البحر لأزمة عنيفة هدت كيانها وأتلفت أعصابه ، فاستشعر اليأس من الدنيا جميعاً وألقى بنفسه فى اليم خلاصاً من عذابه وآلامه ، محتفظاً بأسراره لقلبه ولبطون الأسماك ...

وكان يترحم عليه المترحمون فيقولون : « ما رأينا إنساناً يحب زوجه كالمرحوم صابر ، فلا هو صبر على فقدانها ولا احتمل الدنيا بعدها فقضى على نفسه بعد موتها بأيام ... رحمهما الله ! »

نجيب محفوظ

مطبعة الرسالة — ٨١ شارع السلطان حسين عابدين . القاهرة